ناجي علوش

حول الخطّ الاستراتيجيّ العام لحركتنا ولثورتنا

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

جقوق الطبع محفوظة لدار الطليعة
بيروت - ص.ب ١٨١٣

الطبعة الاولى
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤

تقديم

يتكوّن هذا الكتاب من ثلاثة اقسام :

الاول منه، يضم دراستين، الاولى تناقش قضايا الخط الاستراتيجي العام لحركتنا (فتح) . وهي دراسة لم تنشر من قبل ، ولم تناقش ضمن اي اطار . ولقد رايت ان انشرها مساهمة مني في النقاش الدائر حول «القضايا الاستراتيجية» المطروحة على شعبنا الفلسطيني وامتنا العربية. اما الثانية فتعالج قضايا العمل الشعبي الفلسطيني، وقد نشرت في «شؤون فلسطينية» كما هو مبين .

أما القسمان الثاني والثالث فيضمان مقالات كتبت في اوقات مختلفة ، ونشرت في صحف ومجلات متنوعة . وقد اشرت الى ذلك الى جانب كل مقال . يبقى ان اشير الى ان من هذه المقالات ما نشر دون ذكر اسم مؤلفه .

وإذ أعيد نشر هذه المقالات فلعلاقتها ايضا بالنقاشات الدائرة اليوم حول القضايا الاساسية التي تعيشها ثورتنا .

وسيلاحظ القارىء ان هذه المقالات جميعا ، ما نشر منها وما لم ينشر ، وما نشر مشفوعا باسم الكاتب ، وما نشر غفلا من اسم

كاتبه ، تكرس خط النضال ، ضد خط الاستسلام ، وخط القتال، ضد خط التصفية وخط التمسك بأهداف الثـورة ضد الخطوط المنحرفة والمتذبذبة ، وخط الجماهير وحرب الشعب ضد الخطوط المتعالية على الجماهير ، المعتمدة على الاساليب الجامدة والافكار المحافظة والمتخلفة .

٢٠ ـ ١٢ ـ ٧٣ **المؤلـف**

القسم الاول

حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا

مدخـل :

تمر ثورتنا وحركتنا وقضيتنا بمرحلة حرجة وخطرة . ولعل أدق ما يمكن ان توصف به هو انها مرحلة تصفية . ذلك ان القوى التي أرعبتها انتصارات شعبنا ، من معركة الكرامة الى معـــارك ايلول سنة ١٩٧٠ ، قررت ان تجهز على حركتنا وثورتنا ، لانهـا باتت تخشى تطور هذه الثورة وتقدمها .

كانت هذه القوى تظن ان معارك ايلول سنة ١٩٧٠ ستكـــون ضربة قاضية . ولكن صمود حركتنا وجماهيرنا في ايلول والملاحم البطولية التي سطّرت ، والتي لم يشهد مثلها تاريخ المنطقـــة الحديث ، زادت القوى المضادة للثـــورة اصرارا على ضرورة التصفية .

وكان ان تضافرت الجهود والقوى بعد ايلول لتحقيق ما لم يتحقق في ايلول .

وفي هذا الوقت عينه كانت الولايات المتحدة الاميركية تحاول جاهدة ان تستعيد المواقع التي فقدتها في الوطن العربي ، مستغلة عجز الدول العربية وتفككها وتخاذلها ، ومستفيدة من آثار الموافقة على مشروع روجرز .

ولقد نجحت الولايات المتحدة في اقناع بعض القوى المهيمنة في الوطن العربي ، بأنها وحدها القادرة على الضغط على اسرائيل، ولهذا فان الحل بيدها . ولذلك ، ففي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تمدّ فيه دولة الاحتلال الصهيوني بكل اسباب البقاء والقوة ، كانت الاوساط العميلة لها تنتهج سياسة تشكيك بقدراتنا .

وكانت هذه التطورات كلها لمصلحة دولة الاحتلال الصهيوني التي انتهجت سياسة تقوم على المحاور التالية :

١ ـ دفع الدول العربية ، وخاصة سورية ولبنان ، من خلال التهديد والوعيد والهجمات الى الشعور بضرورة تجميد نشاط المقاومة وسحقها .

٢ ـ استغلال ظروف انحسار نشاط المقاومة من اجل تصفية وجود المقاومة في الداخل ، وخاصة قطاع غزة .

٣ ـ خلق حقائق راهنة في الاراضي المحتلة .

٤ ـ دفع الدول العربية الى مزيد من التنازلات بابراز طرف فلسطيني في الداخل وابتزاز تنازلات من دولة عربية بالتلويح بعقد صلح منفرد او اتفاق جزئي مع دولة اخرى .

٥ ـ محاولة اقناع المواطن العربي ، تحت الاحتلال او خارج الاحتلال ، بأن الدول العربية عاجزة والمقاومة عاجزة ، وأن الحل هو «السلام» على الطريقة الاسرائيلية ـ الاميركية .

٦ ــ زيادة قوة جيش الاحتلال وحداثة اسلحته واعداده لحروب جديدة اكبر واوسع نطاقا من حرب حزيران .

٧ ــ العمل على اساس ان الطرف الاميركي طرف أصيل في المعركة واستغلال كل الوقائع العربية والدولية لاقناع الولايات المتحدة الاميركية بأن المعركة معركتها .

ولقد دارت معارك شرسة بعد ايلول ، ضمن هذه الظروف ، خسرنا فيها مواقعنا في الاردن ، كما خسرنا فيها حماسة جماهيرنا واندفاع قطاعات واسعة من الجماهير العربية . والاهم من ذلك اننا فقدنا فعالية حركتنا وحماسة كوادرها وقواعدها وقدرتها على استقطاب الجماهير وقيادتها .

ويعود ذلك الى عاملين :

الاول : قصورنا الذاتي المتمثل في طبيعة تكوين تنظيمنا وفي خطنا السياسي والعسكري والتنظيمي .

الثاني : شراسة الهجمة الخارجية وضخامة القوى المشاركة في عملية التصفية .

وعلى الرغم من هذا كله . استطعنا حتى الان ان نبقى ، وان نخوض معارك باسلة داخل الارض المحتلة وخارجها .

الا ان هذا كله يجب الا يحجب عنا حقيقة اننا نعيش ازمة حرجة وخطرة في المجالات التالية :

اولا : خطنا السياسي والعسكري .

ثانيا : تنظيمنا وبناء حركتنا .

ثالثا : علاقاتنا مع الجماهير والقوى الوطنية الفلسطينية .

رابعا : علاقاتنا مع الجماهير والقوى الوطنية والانظمة في الوطن العربي .

خامسا : علاقاتنا الدولية .

وهذا يقتضي منا وقفة قصيرة عند كل منها في سبيل الخروج ببرنامج عمل مرحلي محدد ، يجعلنا قادرين على ان نضمن لثورتنا

البقاء ، ولقتالنا الاستمرار ولشعبنا النصر . وقبل ان نخوض في هذا كله لا بد من ان نناقش خطنا الاستراتيجي العام .

اولا ــ حول الخط الاستراتيجي العام :

ينبثق الخط الاستراتيجي العام من الفهم الشامل للقضية ، ومن الاهداف والاساليب المحددة لحلها . ولقد انطلق خطنا الاستراتيجي العام عند الانطلاقة ، من وعينا لابعاد قضيتنا ، ومن الاهداف والاساليب التي حددناها لانفسنا .

ومن هنا كان التحرير هدفا اول ، وكانت الحرب الشعبية الطويلة المدى طريقنا الوحيد اليه .

ومن هنا ايضا كان وجود الطليعة القادرة على تجسيد ارادة التحرير وتجسيد الحرب الشعبية ضرورة لازمة ، وكان لا بد لهذه الطليعة من ان تعبىء وتنظم الجماهير الفلسطينية والعربية(١).

ولكن التحرير لمصلحة من ؟

وكان الجواب : «ان شعارنا في البداية هو ان الارض لمن يحررها ، لتلك السواعد الثورية المسلحة التي تجسد آمال الشعب في تحرير الارض وفي العودة الكريمة الى الوطن السليب» . هذا هو الشعار في البداية ولكننا «بالضرورة امام اختيار ثوري وحيد بالنسبة للمضمون الاجتماعي» لاننا «جزء من الامة العربية ومن حركتها الثورية الكبرى» (٢) .

ان هذه الركائز : التحرير ، الطليعة ، حرب الشعب الطويلة المدى ، تعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية ، الارض للسواعد

---

١ ــ تراجع الكراسات ١ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من سلسلة : دراسات وتجارب ثورية .

٢ ــ ح.ت.و.ف : من منطلقات العمل الفدائي ، سلسلة دراسات وتجارب ثورية رقم ١ ــ ص ٦٣ .

التي تحررها ، هي ركائز خطنا الاستراتيجي العام ، وهي ركائز اساسية تدل على التصور الصحيح للقضية ولحلها . واذا كانت هذه الركائز كذلك عند انطلاق الثورة ، فان تجربة سبع من السنين اعطت ادلة كافية على صحتها .

ومع ذلك فنحن اليوم نعيش تخبطا شاملا ، فيما يتعلق بخطنا الاستراتيجي العام . ان قياداتنا لا تعرف ماذا تفعل وكوادرنا وعناصرنا تحس بأنها ضائعة . فلماذا حدث ذلك ؟ ان ذلك يعود الى ما يلي :

١ ـ اننا في نضالنا لم نستطع ان نعطي هذه الركائز مدلولاتها الواضحة من خلال :
   أ ـ التثقيف والتربية الحركية .
   ب ـ من خلال الممارسة .

٢ ـ اننا ارتكبنا اخطاء فاحشة في ممارساتنا جعلت هذه الركائز تغيم حتى في نفوسنا .

٣ ـ اننا اخذنا نجتهد اجتهادات عفوية وعشوائية ، وأحيانا مغرضة أبعدتنا عن هذه الركائز الاساسية .

٤ ـ اننا لم نجسد مفهوم الطليعة ، خلال السنوات الثلاث الاخيرة خاصة ، وبذلك اصبح واقعنا مخيبا للآمال وغير قادر على تجسيد استراتيجيتنا ، مما زاد البلبلة والخيبة والارتباك .

ولذلك فان هذه الركائز الخمس تتعرض اليوم للطعن او التشويه بشكل او بآخر . واذا كان ليس هنالك من يتنكر لشعار التحرير ، فان هنالك كثيرين ممن يشككون بقدرة حركتنا وثورتنا بوضعها الحالي على تحقيق التحرير . ومن هنا بدأت تطرح الافكار والتبريرات التي تستهدف تكييف ارادة الشعب الفلسطيني مع الواقع العربي والدولي . واذا كنا لا نجد احدا يرفض مفهوم الطليعة ، فان كثيرين يرفضون ان يعتبروا حركتنا طليعة ، وهي بوضعها الحالي . ولهذا نجد من بين صفوفنا من هو على استعداد

للتنازل عن دورنا الطليعي ، أو من قد تنازل فعلا . ثم ان حرب الشعب الطويلة المدى اصبحت متهمة ، لاننا لم نستطع ان نجسّدها في ممارساتنا ، خارج غزة وعمان ، ولأن بعضنا وجد طريقهـــا طويلا عسيراً ، فأخذ يحلم بمعجزة «نظامية» تحقق الآمال .

اما تعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية فما زالت تبدو حلما بعيد المنال قصورنا اكبر عقبة تقف في طريقه .

ولن نتحدث الان عن قضية المضمون الاجتماعي والدولـــة الديمقراطية الا اننا لا بد الى أن نشير بأنها مثار جدل وموضـع نقاش .

وهكذا نجد انفسنا ، بعد سنين من الممارسة ، مطالبين مـن جديد بما يلي :

أ ــ التركيز على صحة الركائز الخمس لخطنا الاستراتيجي العام، والتأكيد على ضرورة التمسك بها وتجسيدها في الممارسة .

ب ــ اغناء هذه الركائز بالدراسات من خلال دراسة واقعنا والواقع العربي والدولي واعطاؤها مدلولات علمية عميقة ، منسجمة مع حقائق العصر ، ومع تجربتنا : وإزالة الشوائب التي علقت بها من جراء الاجتهادات الذاتية، او الممارسات العشوائية.

وبما اننا الان لا نستطيع تقديم الدراسات الاولية المطلوبة ، فاننا ، مع تأكيدنا على ضرورة هذه الدراسات ، سنقدم خطوطـا عامة ، تفيدنا في كشف نقاط ضعفنا وفي وضع برنامج مرحلي فعّـال .

وسوف نعالج هذه الركائز واحدة فواحدة :

١ ــ التحرير : هو القضية المركزية والركيزة الاولى في الخط الاستراتيجي العام . ولا يمكن ان تكون ثورة ولا قضية بدون هذه الركيزة .

ويعني التحرير : تحرير كامل التراب الفلسطيني وإزالـــة الوجود الصهيوني من فلسطين المحتلة بالكفاح المسلح ، أي الحرب

الشعبية الطويلة المدى .

واذا كانت الحرب الشعبية الطويلة تستلزم مرور نضالنا بمراحل مختلفة ، تحتمها الاستراتيجيات المرحلية ، فان هذه الاستراتيجيات المرحلية يجب ان تكون ضمن الخط الاستراتيجي العام وتجسيدا له .

وهذا يعني :

أ ـ ان تحرير كامل التراب الفلسطيني هو القضية التي لا يجوز المساس بها ، او المساومة عليها ، مهما كانت الظروف .

ب ـ ان كل الخطط النضالية ، السياسية والعسكرية ، وكل العمليات والمناورات والنشاطات يجب ان تنطلق من هذا المنطلق .

ج ـ ان اية مساومة على هذا الهدف او اي تقصير في التمسك به هو خيانة لقضيتنا ولشعبنا .

وعلينا هنا ان نوضح حقيقة هامة تتعلق بفهم مرحلية النضال. ذلك ان هنالك من يحاول ان يعطي مرحلية النضال معنى الحلول المرحلية للقضية الاساسية ، اي الاشتراك في مساومات مرحلية. ان هذا المفهوم يتعارض مع المضمون العلمي لمرحلية النضال ، ويحاول ان يعطي التسويات المرحلية تبريرا نضاليا . ان مرحلية النضال تعني تحقيق اهداف نضالية في كل مرحلة ، تنسجم مع الخط الاستراتيجي العام ، وتقود في النهاية الى النصر الاكيد . اما التسويات المرحلية التي تمس جوهر القضية ، فهي ليست من النضال في شيء، وهي تقود المقاتلين والمناضلين الى المساومات، بدلا من ان تقود المساومين والمترددين الى القتال .

ثم لا بد لنا هنا من ان نؤكد الحقائق التالية :

أ ـ ان دورنا ، نحن طليعة الشعب الفلسطيني ، ودور جماهيرنا الفلسطينية والعربية هو الدور الاساسي في معركة التحرير، ولن يكون هنالك تحرير اذا لم نقم نحن بهذا الدور ، مستفيدين

من كل الامكانيات في الواقع العربي والدولي ، ومحبطين كل المؤامرات والمناورات المضادة .

ب ـ ان التعلل بحلول مرحلية ، وهم خادع ، لان الاحتـــلال الصهيوني لن يساوم على وجوده وانتصاراته ، ولأن التوازن الدولي لا يقود الى تسويات جزئية ومرحلية ، دون قتـــال عنيف ، يلعب فيه احد الطرفين الاساسيين دورا فعالا يخل بالتوازنات القائمة . هذا ما حدث في كوريا خلال الحـرب ضد العدوان الاميركي ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ، وهذا ما حدث فـي فياتنام سنة ١٩٥٤ . ولكن الحلول المرحليـــة ، كما اثبتت التجارب ، ومنها التجربتان السابقتان ، تقود الى مخاطـــر استمرار الواقع الراهن سنين عديدة كما هي الحال في كورية، اذا لم ينتفض احد الطرفين وينهي لعبة التوازن القائمة .

اما في فلسطين ، حيث المعركة هي معركة مع كيان مصطنع يسعى من اجل تأكيد امر واقع وحقائق راهنة ، فان «السلام»بأي شكل كان هو لمصلحة العدوان ، لانه يعطيه الامكانية لخلق «حقائق راهنة» ولتأكيد شرعيته الدولية .

ان تاريخنا الحديث مليء بالشواهد على هذه الحقيقة .

ولذلك فان استمرار القتال بأشكاله المختلفة هو ضمانـــة التحرير الحقيقية .

ولقد استطاعت حركتنا ، خلال السنوات الماضية ، ان تجسد ارادة التحرير ، وان تنقل قضيتنا من ادراج الامم المتحدة الـــى مصاف القضايا الحية . وهي بهذا قد حالت دون تصفية القضية عن طريق التسويات او فرض الامر الواقع .

كما ان حركتنا استطاعت ان توجد ارادة التحرير التي كانت غائبة خلال السنوات التالية على النكبة .

واذا كانت الارض لم تحرر بعد ، فان ارادة الشعب الفلسطيني قد تحررت ، وانها اصبحت ارادة يحسب لها الف حساب عنـد

دراسة شؤون المنطقة . لان تمرس هذه الارادة وتطور طاقاتها هو الذي سيجعلها الارادة القهارة القادرة على تحرير الارض .

ولكن هذا يجب الا يعمينا عن حقيقة اساسية ، وهي ان تحرير ارضنا في فلسطين اعسر قضايا هذا العصر واعقدها ، وان طريقها هو طريق النضال الشاق المرير والتضحيات الكبيرة الغالية . ولذلك اخطأ الذين ظنوا انها نزهة الى الارض السليب ، وقادهم خداع النفس الى ان يتعبوا بسرعة ، وان يعلنوا انهيارهم عندما بدات الطريق تبدو شاقة وطويلة .

٢ ـ حرب الشعب الطويلة المدى : اذا كان التحرير هو القضية المركزية فحرب الشعب طويلة المدى هي شرطه . فالتحرير يتحقق بحرب الشعب ، وبحرب الشعب الطويلة المدى لا بغيرها . فما الذي تعنيه حرب الشعب الطويلة المدى ، انها تعني تعبئة الجماهير ذات المصلحة وتنظيمها والاستفادة من كل طاقاتها وامكانياتها استفادة قصوى في المعركة ضد العدو ، وهذا يتضمن الانطلاق من ان الشعب هو الاصل ، وهو القوة الجبارة التي لا تقهر ، ومن ان تعبئته وتنظيمه يجعلانه قادرا على تحقيق اهدافه .

ولكن لماذا حرب الشعب ؟ ولماذا هي طويلة المدى ؟

لان البلدان المتخلفة لا تستطيع ان تواجه الامبريالية الحديثة، بتفوقها السياسي والتكنولوجي والاقتصادي الا بالجماهير المنظمة المسيّسة المقاتلة . ولا تستطيع ان تنتصر الا من خلال التمرس بالقتال الطويل المدى الذي يوحّد قواها ، ويصلب عودها، ويجعلها قادرة على هزيمة عدوها .

ومع اننا طرحنا موضوعة حرب الشعب الطويلة المدى ، واكدنا ضرورتها ، الا اننا لم نوضح طبيعة حرب الشعب في النصف الثاني من القرن العشرين ، وطبيعة حرب الشعب في فلسطين . وكان هذا نقصا فادحا ارتكبناه ، قاد الى عيوب اساسية في تكوين قواتنا وقواعدنا واساليبنا القتالية .

اننا لم نحلل طبيعة المجتمع الفلسطيني ، ولم نقرر دور الريف والمدينة والشتات في هذه الحرب التي سنخوضها ، لنعبىء قواتنا على هذا الاساس . والاشارة الوحيدة الواردة في هذا المجال تقول : «وقد دلّت الشواهد التاريخية على ضرورة ان يكون الكفاح المسلح في بدايته بعيدا عن المدن ، اي بعيدا عن مكان ادوات القمع والارهاب الاستعماري ، حتى يضمن اولا سلامة قواعده وحمايتها » (١) .

ولهذا بدأت المحاولات لانشاء قواعد ريفية في أواخر سنة ١٩٦٧ ، ولكنها سُحقت سريعا ، لانها لم تنبثق من النضال المباشر للريف ، ولانها تجاهلت التطور التكنولوجي للعدو في النصف الثاني من القرن العشرين ، وأهم ما فيه الهليوكبتر ورشاش الـ ٥٠ . كما انها لم تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الريف الفلسطيني، وخاصية ضيقه وقلة وعورة معظمه وانتشار طرق المواصلات فيه.

ثم ان حرب الشعب الطويلة المدى تقوم اساسا على تعبئة الجماهير سياسيا ، على النضال السياسي الذي ينبثق منه كفاح مسلح . اما نحن فقد بدأنا ما يمكن ان يسمى عمليات الدعاية المسلحة ، كما فعل الفياتناميون سنة ١٩٣٩ ، ولكننا لم نستفد من هذه العمليات التي خلقت مناخا ثوريا في اوساط الجماهير ، لتعبئة الجماهير وتنظيمها واشراكها في العمل الثوري .

وفوق هذا كله ، تجاهلنا بعد معركة الكرامة ، ان القوات في حرب الشعب تبنى بالتوعية والتربية والتعبئة السياسية ، ولذلك اخذت تتحكم بنا النزعات العسكرية الاحترافية ، المعادية لكل أشكال العمل السياسي .

---

١ ــ ح.ت.و.ف : دراسات وتجارب ثورية ، رقم ٨ ، تحرير الاقطار المحتلة ، ص ١٢ .

ان علينا الان ان نؤكد من جديد ان حرب الشعب الطويلة المدى هي وسيلتنا الوحيدة الى النصر . على ان ذلك يقتضي منا مجموعة حقائق :

١ ــ ان حرب الشعب هي حرب الجماهير المنظمة المسيَّسة المقاتلة ، وانها حرب الاستفادة من كل طاقات الجماهير الى الحد الاقصى ، ولذلك فان تعبئة الجماهير وتنظيمها وتفجير قدراتها المبدعة عامل النصر الحاسم في هذه الحرب .

٢ ــ ان هذه الحرب ، لا تعني حرب العصابات ، اي المجموعات الصغيرة فحسب ، كما فهم بعض منا ، وان كانت حرب العصابات مرحلة من مراحلها ، في البدء ، ومجالا من مجالاتها خلال مراحلها المختلفة . وهذا يعني نمو قوات شبه نظامية ، او حتى نظامية ، مع تصاعد الثورة . ولكن الفرق بين هذه القوات والقوات النظامية التقليدية ، هو ان القوات المنبثقة من حرب الشعب ، تطبق قِيَم حرب الشعب ، وتمارسها ، وعلى رأس هذه القيم : الاعتماد على الجماهير ، التعبئة السياسية ، التنظيم ، الولاء لقضية الشعب ، مرونة التشكيلات والقدرة على المبادرة والحركة ، الشجاعة والتفاني والاخلاص ، المزاوجة بين العمل السياسي والعمل العسكري، والمزاوجة بين العمليات الصغيرة (التخريب والعصابات) والحركات العسكرية الكبيرة ، الابداع في اكتشاف الاساليب الجديدة ، الخ .

٣ ــ ان هذه الحرب لا تستهتر بأهمية التكنولوجيا ، ولكنها تُعدّ الانسان بالوعي والتنظيم والابداع والفعالية والتصميم لمواجهة التكنولوجيا الحديثة . وهي تستفيد بالقدر الذي تستطيع من كل امكانيات التكنولوجيا . ان الصراع بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي اوجد امكانية ان تستفيد الشعوب من منتجات التكنولوجيا الحديثة . ولهذا يجب ان تعزز حرب الشعب الطويلة المدى بكل امكانيات التكنولوجيا، على ان تخضع منتجات التكنولوجيا

لمبادىء حرب الشعب لا العكس .

٤ ــ ان حرب الشعب في فلسطين ليست حرب شعب تقليدية، انها حرب شعب من نوع جديد ، تشترك في صنعها الخصائص العامة لمقاومة الامبريالية في النصف الثاني من القرن العشرين والخصائص الخاصة لمقاومة الاحتلال الصهيوني والامبريالية في فلسطين .

وتقتضي الخصائص العامة :

أ ــ «... القيام بأعمال العصيان الجزئية والجمع بين النضال العسكري والسياسي، ومهاجمة العدو بثلاثشوكات ــ العمليات العسكرية ، العمل السياسي ، اعمال التحريض والدعاية بين قواته، ، والتنسيق بين الهبات الجماهيرية والحرب الثورية وضرب العدو في كل المناطق الاستراتيجية الثلاث ...»(١) .

ب ــ هزيمة : «قوى كبيرة بقوى صغيرة والتغلب على وحدات كبيرة بفصائل صغيرة ، ومنافسة الاعداد الكبيرة بالنوعية العالية ، فن يعرف كيف يشل قوة العدو في ميدان المعركة ، بينما ينمي قوتنا العسكرية والسياسية الى اقصى حد ، يعرف كيف يوجه ضرباته للعدو دائما من موقع المبادأة والهجوم ، وكيف يخلق مراكز قوة يضرب منها العدو بقسوة ويصرعه في حرب طويلة الامد » (١) .

اما الخصائص الخاصة فتقتضي :

أ ــ التركيز على العمل السياسي ، والتركيز على العمل العسكري في المدن ، واعتباره شكلا اساسيا من أشكال النضال ، من

---

١ ــ ذوان ، لي : الثورة الفياتنامية : المشاكل الاساسية والمهمات الرئيسية، دار الطليعة ، ص ٤٩ .

١ ــ ذوان ، لي : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

خلال تنظيم الخلايا السرية القادرة . التركيز على تعبئة الريف وتنظيم الخلايا السرية فيه ؛ وايلاء عرب الارض المحتلة سنة ١٩٤٨ اهمية خاصة ، لانهم يستطيعون ان يلعبوا دورا كبيرا في العمل السياسي والعسكري .

ويجب التركيز على ضرورة المزاوجة بين العمل السياسي والعسكري في الداخل ، وعلى ضرورة التعبئة الوطنية الجماهيرية الشاملة وضرورة خلق التنظيم الطليعي المتماسك الواعي القادر على القيام بكل مهمات حرب الشعب .

ب ـ التركيز على تعبئة الجماهير الفلسطينية ، خارج الارض المحتلة واعدادها لحماية الثورة وامدادها بالرجال والمال ، ومقاومة عمليات التصفية .

ج ـ العمل على الاحتفاظ بالقواعد الخارجية ، وزيادة حجمها وفعاليتها وتوسيع رقعة انتشارها لتكون درعا واقية للثورة ، ومدارس استقطاب وتكوين للمقاتلين ومراكز قوة تنطلق منها الدوريات الى الداخل ، وترهق بها قوات العدو على الحدود ، وترد هجماته على المناطق المجاورة لمناطق سيطرته .

د ـ التركيز على ضرورة الاستفادة من : العمق الجغرافي العربي ، العمق البشري العربي ، الامكانيات العسكرية العربية ، وذلك باستخدام العمق الجغرافي العربي في ايجاد القواعد وتكوين القوات ، واستخدام العمق البشري العربي في تعبئة الجماهير العربية للمشاركة في القتال ، وحماية الثورة وامدادها بالمال والرجال ، واستخدام الامكانيات العسكرية العربية في مواجهة العدو عندما يحرك قواته للغزو او مهاجمة القواعد الارتكازية .

ان حرب الشعب الطويلة المدى في فلسطين ، لا بد لها من ان تأخذ كل هذه الحقائق بعين الاعتبار ، لانها الحقائق التي تقودها الى النصر .

ان تجربتنا خلال السنوات الماضية علمتنا الكثير . انها تعلمنا ان مدينة ساحلية صغيرة مثل غزة قادرة على ان تقاتل العـــدو وتزعجه وترهقه اذا ما توافر تأييد جماهيري للثورة ، واذا وجدت مجموعات من الشباب المستعد للقتال .

ان غزة درس يجب ألا ينسى .

كما ان تجربة الخلايا التي نظّمت في الارض المحتلة قبـــل سنة ١٩٤٩ ، ومنها تجربة خلية عكا ، وخلايا مجـــدل الكروم ، تجربة يجب ألا تنسى ، لانها تدل على مدى اهمية وخطورة مثل هذه الخلايا ، وعلى مدى قدرتها على ارباك العدو وإلحاق الاذى به.

وهكذا نرى انه لا بد في حرب الشعب من :

١ ــ المزاوجة بين العمل الشرعي القانوني والعمل السري .

٢ ــ المزاوجة بين العمل السياسي والعمل العسكري .

٣ ــ المزاوجة بين العمل الجماهيري الواسع والعمل التنظيمي الطليعي .

٤ ــ المزاوجة في العمل العسكري بين كل اشكال التنظيم وكل اشكال القتال (القواعد الثابتة والقواعد المتحركة ، قواعد المـــدن وقواعد الارياف وقواعد الارتكاز ، عمليات التخريب وعمليـــات العصابات ، عمليات اضرب واهرب وعمليات الدفاع عن المواقع ، عمليات الحرب المتحركة والعمليات شبه النظامية والنظامية) .

٥ ــ المزاوجة في العمل السياسي بين التمســـك بالمبادىء والخط الاستراتيجي العام تمسكا لا يعرف المهاودة وبين استخدام التكتيك استخداما فعالا ومرنا لتحقيق المبادىء والخط الاستراتيجي العام . هذا من جهة ومن جهة اخرى استخدام كل اشكال العمل السياسي : السرية والعلنية ، السياسية والنقابية ، الشرعية وغير الشرعية ، الخ .

٦ ــ التطبيق الخلاق للمبادىء والخط الاستراتيجي العـــام وهذا يعني :

أ ــ وعي المبادىء والخط الاستراتيجي العام وعيا نافذا .
ب ــ معرفة الظروف المحيطة وتقلباتها وتغيراتها معرفة تامة .
جـ ــ معرفة القوى المختلفة ودورها وامكانياتها .
د ــ تحديد القضايا المركزية والقضايا الثانوية في كل مرحلة ، وتحديد المهمات والتحالفات على هذا الاساس .

٣ ــ الطليعة :

ما دامت القضية هي التحرير وحرب الشعب هي الاسلوب والشرط ، فان الطليعة هي القيادة . ولقد اعتبرت حركتنا ان وجود الطليعة ركيزة اساسية من ركائز خطها الاستراتيجي ، واعطتها المواصفات التالية :

أ ــ «اذا كانت الجماهير اداة الثورة فلا بد لها من قيادة واعية تقود كفاحها المسلح ...»
ب ــ وهذه الطلائع لا بد من ان تكون : «... طلائع ثورية مسلحة منسجمة الفكر والعمل ، تقوم بتجسيد النضال العيني امام الجماهر ، حتى تقتدي بها ، وتسير تحت قيادتها» (١) .
جـ ــ شروط انتظام هذه الطلائع الثورية الفلسطينية في حركة ثورية مسلحة هي :
١ ــ كون وعيها في مستوى أحداث القضية الفلسطينية بمختلف أبعادها القطرية والقومية والدولية .
٢ ــ طرح شعارات جدية محددة تضع المسألة الفلسطينية في مستواها الثوري المطلوب ... (حذفت هنا بعض الشعارات).
٣ ــ تبني منهج وأسلوب للعمل ثوريين» (٢) .

---

١ ــ ح.ت.و.ف : دراسات وتجارب ثورية ، رقم ٨ ، ص ١١ .
٢ ــ ح.ت.و.ف : دراسات وتجارب ثورية رقم ٢ ، ص ١٢ .

ونستطيع ان نستخلص من هذا كله ما يلي :

أ ــ ان الطليعة هي القيادة .

ب ــ ان الطليعة لا بد من ان تكون ثورية مسلحة منسجمة الفكر والعمل ، تجسد النضال العيني امام الجماهير .

جـ ــ الطليعة لا بد من ان تمتاز بكونها تملك وعيا نفاذا لأبعاد قضيتها محليا وقوميا ودوليا ، وانها تستطيع ان تحدد مهماتها تحديدا علميا دقيقا، وأن تطرح شعارات جدية محددة تضع المسألة الفلسطينية في مستواها الثوري المطلوب ...

د ــ ان الطليعة لا بد من ان تتبنى منهجا وأسلوبا ثوريين في العمل .

وهذه المواصفات هي مواصفات الطليعة فعلا . ولكنا لم نستطع ان نوجد هذه الطليعة ، مع اننا حددنا مواصفاتها جيدا . وكان عدم خلق هذه الطليعة ، بمثل هذه المواصفات هو الثغرة الخطرة، وهو سبب كثير من الاشكالات التي نعاني منها .

لقد أوجدنا تنظيما ، وأردنا ان يكون طليعة وان يكون قيادة ، ولكنه لم يكن كذلك . ولذلك فان هذا التنظيم لم يستطع ان يكون قيادة ، كما أريد له ان يكون ، لانه :

أ ــ لم يتحلَّ بالوعي المطلوب .

ب ــ لم يوحِّد الفكر بالعمل والنظرية بالممارسة .

جـ ــ لم يتبن منهجا وأسلوبا ثوريين في العمل .

ويعود هذا الى الاسباب التالية :

أ ــ لان الحركة نمت نموا غير طبيعي بعد معركة الكرامة ، جاءت الالوف اليها زاحفة ، وأخذت هي تستوعب هؤلاء دون ان يكون لها الكادر والمقاييس . ولذلك استوعبت الحركة اخلاطا من الناس ، وضمت كثيرين ممن هم غير مؤهلين لان يكون كوادر وقيادات طليعية .

ب ــ لان المقاييس ، بعد الكرامة ، غابت عن العمل التنظيمي .

اصبحت العضوية بلا مقاييس ، واصبح كل من يطلب العضوية يجد اليها مدخلا .

ج ــ لان التربية الثورية لم تكن موجودة ايضا ، لتزيد من ثوريـة العناصر الجيدة ، ولتفرق بين العناصر الثورية وغير الثورية، ولترفع سوية المقاتلين والمناضلين وكفاءاتهم القتالية والنضالية، الفكرية والتنظيمية والخلقية .

د ــ لان الممارسات الشاذة والمنحرفة كانت سائدة ، وكانت تفسد الطيبين وتسحق الخيرين .

هـ ــ لان المنهج الثوري والاسلوب الثوري كانا غائبين عن العمل ، وسادت مكانهما العفوية والمزاجية والارتجال والعشوائية الخ.

ولذلك فانه ليس لدينا اليوم تنظيم . ان لدينا تجمعات ادنى مستوى من التجمعات العشائرية . وهي بالطبع أبعد ما تكون عن ان تكون طليعة . انها تفتقد الى الوعي والتماسك والفعاليـة والقدرة على المبادرة . وأعضاؤها ليسوا افضل عناصر شعبنا ، ولا هم الاكثر تنورا من ابنائه ، والاكثر قدرة على تجسيد حركـة **التقدم والتطور داخله . وليسوا ، فوق هذا** كله ، في معظمهم ، المؤمنين بلا تردد بالقضية ، الموالين لها ولاء مطلقـا ، المرتبطين بالشعب ارتباطا وثيقا لا حدود له ، المناضلين نضالا دؤوبا لا يكل، **منكرين ذواتهم انكارا** تاما ، ومضحين بمصالحهم وراحتهم وحتى بحياتهم .

ونحن لا نستطيع ان ندعي اننا نمثل الطليعة بمثل هذا التنظيم .

كما اننا لا نستطيع ان نسير بالثورة الى الامام وأن نمنـع التصفية ، ونعبىء الجماهير ، ونكتشف في كل مرحلة مهماتها ، ونتحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقنا ، بدون هذا التنظيـم الطليعي .

والتنظم الطليعي ، هو ليس تنظيم المناضلين ، انه تنظيـم المقاتلين ايضا . وما دامت ثورتنا ثورة مسلحة فلا بد من ان تكون

قواتها طليعية . لانها لا تستطيع ان تقوم بمهماتها ان لم تكن قواتها طليعية . وحتى تكون القوات طليعية لا بد لها من امرين :

اولهما : التفوق المطلق على العدو من الناحية السياسية والمعنوية .

وثانيهما : التفوق بالكفاءة القتالية حتى تستطيع القوى الصغيرة ان تهزم قوى كبيرة ، وحتى تتغلب الفصائل الصغيرة على وحدات كبيرة ، وحتى تواجه الاعداد الكبيرة بالنوعية العالية (١) .

ان هذين الشرطين ضروريين في هذه المرحلة من القرن العشرين ، نتيجة قدرة الامبريالية وعملائها على استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة ، وقدرتهم على حشد العدد الكبير من القوات نسبيا في كل مكان وزمان . وينجسّد الاحتلال الصهيوني امكانيات الامبريالية الحديثة : سياسيا وعسكريا ، اداريا وتكنولوجيا ، ماليا وتعبويا . وأمام هذا فلا بد لنا من ان نجسد التفوق السياسي والمعنوي والقتالي ، من خلال قوات طليعية .

واذا كان تنظيمنا تجمعات عشائرية فقواتنا هي في احسن الاحوال قوات شبه نظامية ، ينقصها اول ما ينقصها الشرطان الاساسيان اللذان ذكرناهما سابقا ، وهما التفوق السياسي والمعنوي والتفوق القتالي .

ومع اننا طرحنا منذ البدء اننا طليعة المنطقة ، وقمنا بأعمال طليعية ، وخضنا معارك باسلة وضارية لم تخضها المنطقة كلها ، فاننا ونحن نبني القوات احتقرنا العمل السياسي احتقارا شديدا، ولم نول بالتالي اي اهتمام للتفوق المعنوي . كما اننا انشغلنا بالمظاهر والكم اكثر مما انشغلنا بالكفاءة القتالية ، واندفعنا على

---

١ ـ ذوان لي : المرجع السابق ص ٦٠ .

طريق الممارسات المنحرفة ، بدلا من ان نخلق التقاليد الثورية ونكرسها ونجسدها . وعلى الرغم من ان الكادر هو عصب الطليعة، فاننا لم نهتم بتربية الكوادر ، ولم نستطع خلال سنوات سبع ان ننشىء مدرسة للكادر تستحق الاحترام .

ولقد نمت داخل القوات ، بسبب هذا كله ، ظاهرتان خطرتان:

الاولى : هي ظاهرة الاستهتار بالجماهير ، فالجماهير كم مهمل والقوات : «لا تعتمد على الجماهير ولا تنظمها ، ولا تعير اهتماما لامر تنظيم الجماهير الغفيرة ...»

الثانية : هي ظاهرة «... نزعة امراء الحرب ...» حيث : «تمكنت الكبرياء من نفوس» كثيرين «فهم متعسفون متجبرون في معاملتهم» (١) اخوتهم في السلاح والجماهير .

وتجلت هذه النزعة العسكرية في المظاهر التالية :

أ ــ محاولة تكريس تقاليد عسكرية نظامية من حيث : التدريب ، التسليح ، التشكيلات ، العلاقات بين المراتب العسكرية المختلفة ، مفاهيم الانضباط والسلوك ، دون ان يكون للقوات طابع القوات النظامية ، ودون ان تتمتع هذه القوات بروح القوات النظامية . ثم اخذت الروح «النظامية» تسيطر على الحياة اليومية، فلا عمل ولا مهمات ولا برامج . وانتقلت عدواها الى العمليات ، فخلت من روح الخلق والابداع ، خاصة سنة ١٩٦٩ وسنة ١٩٧٠ ، في معظمها ، واصبحت عمليات استعراضية ، تهاجم العدو في مواقع قوته ، لا في مواقع ضعفه ، دون ان يكون هنالك اعداد كاف .

ب ــ التفريق بين التنظيم والقوات، بين السياسي والعسكري،

---

١ ــ ماوتسي تونغ : تنظموا ، ٢١-١١-١٩٤٣ ، كراس ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ص ٧ وص ٢٠ .

وعليه فان العسكريين «يوجهون كل اللوم الى الرفاق الذين يعملون في الدوائر المدنية ...» (١) ، انهم معادون للعمل السياسي عداء لا حدود له ، محتقرون لكل من يعمل فيه . وبينما تمجد البندقية تمجيدا مغرورا ولا معنى له ، يُحتقر العمل السياسي احتقارا لا حدود له . ولكن تمجيد البندقية بدأ يأخذ شكلا مبتذلا ، لانه خلا من المضمون السياسي الثوري ، حتى انه اصبح تمجيدا مظهريا أجوف .

ولقد اتخذ هذا التفريق بين العسكري والسياسي ستارا لتغطية اهمال تسليح الجماهير وخلق الميليشيا القادرة الفعالة ؛ كما اتخذ ستارا لمحاربة التنظيم وتشويه كل اشكال العمل السياسي داخل القوات وخارجها .

ج ـ الاهتمام بالرتب العسكرية دون الاهتمام بما تمثله هذه الرتب ، ودون اعتبار بما يمكن ان تدخله الى القوات من عاهات . ومع ان الرتب العسكرية النظامية ، من ابناء الشعب ، ويجب الاستفادة من طاقاتها ، فان هذه الاستفادة يجب ان تخضع لمبدأ خلق قوات ثورية طليعية . وهذا يعني ان تنتقى هذه الرتب انتقاء جيدا ، وأن تعاد صياغتها وتكوين افكارها السياسية والعسكرية . ولكن ما حدث هو ان هذه الرتب أعطيت المجال لافساد قطاعات كاملة وتخريبها ، ولعل بادي عواد مثل منجسّم على ما نقول .

ولهذا خلقت هوة بين التنظيم والقوات ، ودبت الفوضى في صفوف القوات ، وسادت روح عسكرية عليائية احترافية ، دون ان تتوافر فيها ابسط مقومات العمل العسكري النظامي ، وغاب الانضباط الثوري والالتزام الثوري ، وسادت روح الاتكالية

---

١ ـ ماوتسي تونغ : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

والخمول والتبذير والفردية والعشائرية والشللية والاستزلام . واخذت روح المبادرة والتفاني والبطولة التي عرفناها قبل الكرامة، وفي معركة الكرامة تضعف ، لتحل محلها تدريجيا روح فتور وقصور : نرى آثارها في هذه الايام . ومع الايام اخذت الروح الثورية البطولية الهجومية تتحول الى روح دفاعية ، ومن ثم الى روح تمسك بالبقاء .

واذا كانت هذه هي الظاهرة العامة ، فهذا لا ينفي وجود العديد من المقاتلين الذين ما زالوا مصممين على الاستمرار بالمسيرة، ولا يقلل من اهمية المعارك التي خاضتها الثورة ، في الارض المحتلة والاردن وخارج الاردن .

كما ان هذا كله لا ينتقص من المحاولات التي جرت بعد المؤتمر الثالث (أواخر آب ١٩٧١) لاصلاح وضع القوات، وان كانت هذه المحاولات لم تستهدف معالجة الداء من اصله بل لجأت الى محاولة فرض قيم عسكرية تقليدية ، والى اعادة بناء القوات على اساس انها قوات عسكرية محترفة شبه نظامية .

واذا كان التنظيم قد عانى من التسيئب والتشرذم ، والقوات قد عانت من الشكلية والعسكرية الاحترافية ، فان المكاتب قد عانت من الفساد والبيروقراطية . ولقد كانت المكاتب كاشف كل مساوىء الحركة وعيوبها . ذلك انها اعطت صورة سيئة للجماهير ، بدلا من ان تقدم صورة حسنة ، واصبحت مراكز تنفير بدلا من ان تكون مراكز استقطاب . وهي ايضا لعبت دورا في تعميق الهوة بين القوات والتنظيم . ثم انها ، وهذا هو الانكى ، اخذت كل قباحة البيروقراطية دون ان تأخذ شيئا يسيرا من حسناتها ، وعلى رأس ذلك النظام والدقة والفعالية .

ان الحركة ، بوضعها الحالي ، ابعد ما تكون عن ان تكون طليعة . وينطبق هذا على التنظيم والقوات والمكاتب . كما انه ينطبق على مختلف المراتب التنظيمية من اللجنة المركزية ، الى

المجلس الثوري ، الى المكاتب المركزية ولجان الاقاليم ولجـــان المناطق . واستمرار هذا الوضع سيقود الى مزيـــد من التشرذم والضياع ، وبالتالي الى التصفية .

وان علينا الان ان نبادر الى بناء التنظيم الطليعي ، لاننا بهذا وحده نستطيع الاستمرار وتحقيق الانتصار .

٤ ـ تعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية :

حرب الشعب الطويلة المدى هي حرب الجماهير . ولذلك فقد اعتبرت حركتنا «ان نقطة البداية في تحرير الاقطار المحتلة هـي الاعتماد على الجماهير كقوة ثورية قادرة على تصفية الاحتـــلال والاستعمار المباشر ...» (١) . وعلى هذا فان «... الجماهير هي أداة الثورة» (٢) . وهذا يعني انه «لا بد للكفاح المسلح والتوعية الجماهيرية ان يسيرا جنبا الى جنب ...» (٣) .

والجماهير هي اولا الجماهير الفلسطينية وثانيا الجماهـــير العربية . الجماهير الفلسطينية ذات دور طليعـــي « والشعب الفلسطيني صاحب الدور الطليعي في معركة فلسطين» (٤) . ولكن هذه الحقيقة يجب الا تنسينا حقيقة اخرى وهـي : «ان ارتباط معركة التحرير بالشعب العربي هو ارتباط عضوي لا يماري فيه

---

١ ـ ح.ت.و.ف : تحرير الاقطار المحتلة ، كراس ، رقم ٨ ، ص ٧ .
٢ ـ ح.ت.و.ف : المرجع السابق ، ص ١١ .
٣ ـ ح.ت.و.ف : المرجع السابق ، ص ١٢ .
٤ ـ ح.ت.و.ف : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

احد» (١) . وبسبب هذا الارتباط العضوي فان : «حرب التحرير هي التي تجعل من عدد الشعب العربي واتساع البقعة التي يعيش عليها العنصر الاول الذي يرجح كفة النصر الى جانبنا» (٢) .

ان هذه الموضوعات الاولية صحيحة . ولا خلاف عليها ولكن هناك مجموعة من الحقائق لم تطرح ولم تناقش وأهم هـــذه الحقائق :

١ ــ كيف تعبأ الجماهير الفلسطينية والعربية وكيف تُنظَّم ، وعلى اي الاسس تتم التعبئة ويتم التنظيم ، وما هي طبيعة هـذه التعبئة وهذا التنظيم .

٢ ــ ما هي طبيعة المعركة مع الاحتلال الصهيوني ، وما دور الطليعة الفلسطينية بالتحديد فيها ، وما دور الجماهير العربية .

وأمام غياب تصور محدد بدأت الممارسات ، فنشأ تنظيـــم فلسطيني ، ولكنه كان أبعد ما يكون عن ان يكون جماهيريا . لقد جاءته الجماهير الفلسطينية ، فلم يستطع استيعابها . ومنحتـه الجماهير الفلسطينية أزمَّتها ليقود ، ليعبىء وينظم ، ولكنه وقف حائرا عاجزا .

ولأن التصور الواضح الصحيح عن التعبئة والتنظيم كـــان غائبا ، لم تنظم الجماهير ولم تعبأ ، حتى بعد ان تأكدت سيطـرة حركتنا على اماكن تواجد الفلسطينيين . وكانت المنظماتالشعبية التي انشئت (اتحادات العمال والطلاب والمـــرأة الخ) اتحادات بيروقراطية ، ليس لها من الشعبية الا الاسم .

اما علاقة بعضاجهزتنا بالجماهير فيالاماكن التي سيطرنا عليها، فلم تكن تختلف عن علاقة اية سلطة بجماهير تسيطر عليها، سوى ان

---

١ ــ ح.ت.و.ف : من منطلقات العمل الفدائي ، كراس رقم ١ ، ص ٨ .

٢ ــ ح.ت.و.ف : المرجع السابق ، ص ١٦ .

الجماهير الفلسطينية كانت تقبلنا بكل علاتنا .

وما حدث على الصعيد الفلسطيني من عجز حدث على الصعيد العربي ، ذلك اننا لم نستطع ان نجعل من عدد الشعب العربي واتساع رقعة ارضه عامل نصر في حرب التحرير. فنحن لم نستطع ان نقيم علاقات ثورية مع الجماهير العربية التي محضتنا العطف والتأييد ، كما اننا لم نستطع ان ننسق مع القوى الوطنية العربية تنسيقا ثوريا فعالا .

وكان لهذا كله ، فلسطينيا وعربيا ، عوامل كثيرة اهمها :

ا ـ غياب المفهوم الصحيح لمعنى التنظيم الجماهيري والمنظمات الجماهيرية .

ب ـ غياب المفهوم الصحيح لدور الجماهير والطبقات في الصراعات السياسية عامة وحرب الشعب خاصة .

جـ ـ تسلط «اتجاهات» عفوية وارتجالية وعشوائية ، وحتى مناهضة للثورة ، على كثير من القيادات في مختلف الرتب التنظيمية والعسكرية ، وعلى مجمل الممارسات العملية .

د ـ تطبيق شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، تطبيقا ميكانيكيا ، وخارج اطار الهدف الذي وضع من اجله ، ضمن مبادىء الحركة في مؤتمر الزبداني سنة ١٩٦٨ . لقد اصبح هذا الشعار بعد تحريفه شعارا اساسيا في علاقاتنا مع الجماهير العربية ، وتحكم عمليا بكل ممارساتنا العربية .

هـ ـ هيمنة الاتجاهات المعادية لتسييس الجماهير وتسليحها وتنظيمها ، والتي تركز على احتقار العمل السياسي وتمجيد العمل العسكري المحض (كما ذكرنا) .

و ـ محاولة فصل معركة التحرير عن مضمونها السياسي والاجتماعي ، فلسطينيا وعربيا ، فهي معركة تحرير فحسب. ومعركة التحرير لا تعني الا ان الصراع هو صراع بين القوى الفلسطينية والعربية من جهة والصهيونية من جهة اخرى. ومن هنا

جاءت الهجمات التي استهدفت تسخيف المناقشات الايديولوجية . ومن هنا جاءت ايضا المحاولات التي كانت تصر على انه ليس هنالك الا فلسطين وحسب . اي أن التحرير لم يطرح على انه من المهمات الاساسية للثورة القومية الديمقراطية العربية ، لا في الكراسات الاولى ، ولا في النشرات الرسمية فيما بعد . ولقد ظل موضوع الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ومهماتها غائبا عن ادبيات الحركة .

ولهذا كله لم تعبأ الجماهير الفلسطينية والعربية . وظلت خارج المعركة . وبدلا من ان تصبح «أداة الثورة» اصبحت «جمهور الثورة المتفرج» . ولقد تحمست هذه الجماهير كثيرا ، وأبدت الكثير من الاستعداد والتضحية ، ولكنها اخذت تصفع كل يوم بحقائق مذهلة : الاسراف ، الارتجال ، العشوائية ، قلة الفعالية، الاستعلاء والابتعاد عن الجماهير الخ ...

وحين اخذت الهجمة الامبريالية الشرسة تشد على خناقنا ، بعد ايلول ، لم تكن جماهيرنا الفلسطينية قادرة على التصدي ، ولا كانت جماهيرنا العربية مُعَدّة لحماية ثورتنا . وفوق هذا كله كان لجماهيرنا الفلسطينية والعربية مآخذ عديدة على قيادة الثورة ومؤسساتها ، وعلى خطها السياسي والعسكري وحتى التنظيمي.

وجل ما نستطيع ان نؤكده هنا هو ان خط حركتنا نحو الجماهير كان يقوم خلال المرحلة الماضية على تجاهل الجماهير وعدم الثقة بها واحتقارها ، ولذلك لم يولَ العمل مع الجماهير اي اهتمام جدي ، وحورب كل توجه صادق نحو الجماهير وسُلّطت على الاتحادات والمنظمات الشعبية، كما سُلّطت على التنظيم في معظم الاحيان، قيادات معادية للعمل السياسي الثوري، غير مؤمنة بالجماهير، في اغلب الاحيان ، او قيادات بيروقراطية ، غير فعالة ، في احسن الحالات .

وهذا يقتضي منا ان نعود الى نقطة البداية ، الى ان الجماهير

هي أداة الثورة . ان هذا يقتضي ان نعود الى الجماهير .

والعودة الى الجماهير ، والى اعتبارها أداة للثورة يفرض علينا ما يلي :

أ ــ ان نعي مصالح الجماهير ومطامحها وعيا حقيقيا ، وعيا عميقا نافذا .

ب ــ ان نلتزم بهذه المصالح والمطامح التزاما ثوريا .

ج ــ ان نجسّد هذا الالتزام في حياتنا ونضالنا تجسيدا تاما .

٥ ــ الارض للسواعد الثورية التي تحررها :

اختصر الكراس الاول : من منطلقات العمل الفدائي قضية «ثورتنا المسلحةوالمضمون الاجتماعي» فياربع صفحات (٦١ــ٦٤). ولكن هذه الصفحات من المفيد قراءتها اليوم ، لانها تظهر الفرق بين المفهوم الذي طرحته والمفاهيم التي سادت خلال ممارستنا في السنوات الماضية . لقد خلصت هذه الصفحات الاربع الى رفع الشعار التالي : «ان الارض للسواعد الثورية التي تحررها» .

وهذا الشعار شعار ثوري لانه يحدد مضمون القضية كلها . فالارض للذين يحررونها . وهذا يعني ان الارض لجماهير المقاتلين والعاملين من اجل التحرير . وجماهير هؤلاء من الفلاحينوالعمال والبرجوازية الصغيرة . وهذا يحدد طبيعة السلطة بعد التحرير .

وحين رُفع هذا الشعار رفع ضمن السياق التالي : «... نحن جزء من الامة العربية ومن حركتها الثورية الكبرى ، واننا بالضرورة امام اختيار ثوري وحيد بالنسبة للمضمون الاجتماعي» (١) . فهناك اختيار ثوري وحيد بالنسبة للمضمون

---

١ ــ ح.ت.و.ف : المرجع السابق ، ص ٦١ ــ ٦٤ .

الاجتماعي ، ولكن هنالك اسباب ، حددها الكراس المذكور آنفا ، تحتم عدم الخوض في هذا الموضوع . وهذه الاسباب هي :

اولا : ان معركتنا ... «المصيرية تحتم علينا استقطاب كل القوى الفلسطينية الثورية التي تعمل بصدق لقضية التحرير . وهذا يتطلب منا ان لا ندخل في جدل بيزنطي حول الصورة الاجتماعية لوطننا بعد التحرير ، لان ذلك لا يعني ان تبدد القوى الثورية جريا وراء شعارات مختلفة بعيدة ، بالنسبة لنا كل البعد عن قضية التحرير . هذا على النطاق القطري الفلسطيني اما بالنسبة للعالم العربي فالمعركة تحتم علينا ايضا ان نستقطب جماهير شعبنا العربي المساندة . وهذا ايضا يتطلب منا ان نقف نفس الموقف لنضمن لحركتنا مساندة كل القوى المخلصة الشريفة في الوطن العربي ، بغض النظر عن وجهات نظرها الاجتماعية . هذا القول يعني اننا في هذه المرحلة ملزمون بعدم الخوض في معارك خلفية تستنزف قوانا العاملة ، وتضعف من جبهتنا الثورية والجبهة المساندة» .

ثانيا : «ان اي مضمون اجتماعي يحتاج الى ثلاثة أمور اساسية هي : وحدة اجتماعية ، وحدة جغرافية ، وحدة سياسية ، وفلسطيننا بحالتها الحاضرة تفتقد هذه العوامل المكونة للمضمون الاجتماعي للثورة » .

ثالثا : «ان صراعنا الدامي مع الاحتلال الصهيوني في الواقع صراع وجود لا صراع عن مبدأ اجتماعي معين ، هو صراع بقاء او فناء ، هو صراع ان نكون او لا نكون . وفي مثل هذا الصراع تختفي المعارك الاجتماعية ، ويلتحم الشعب كله في جبهة ثورية عريضة لاجتثاث الكيان السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدولة الاحتلال، بل لاجتثاث كل الوجود الصهيوني عن ترابنا الطاهر» .

رابعا : «ان مشكلتنا الاساسية هي مشكلة تحرير ارضنا وليست تحرير الانسان ، لان التحرير الحقيقي لهذا الانسان

الفلسطيني هو تحريره من مذلة التشرد والضياع ، كأمر حتمي لانتصار ثورتنا المسلحة . وبذلك يصبح الشعار الاجتماعي بالنسبة لنا في هذه المرحلة شعارا وهميا ، لا يلهب الجماهير ، ولا يحركها للعمل الثوري المسلح . لذا لا بد ان نرفع الشعارات التي تحرك الشعب، وتستقطبه فيتبناها بشكل ارادي حر ، لانها تعبر عن حاجته الملحةفي العودة الحرةالكريمة تحت رايات الثورةالظافرة» .

خامسا : «وما دمنا نحن طلائع الشعب التي تنفذ في الواقع مهمة التحرير ، بعد ان آمنت الجماهير بأسلوبنا المسلح ، وبنهجنا الثوري في التحرير ، فاننا ملزمون امامها ، اي الجماهير ، بايجاد المضمون الاجتماعي الذي يخدم مصالحها ويفي بحاجتها . وهذا سيتحقق حتما بعد النصر ، وبعد تطهير الارض من فلول الاحتلال الصهيوني البغيض» .

ويركز هذا التوجه على القضايا التالية : ١ ـ اننا جزء من الاختيار الثوري العربي . ٢ ـ اننا أما اختيار ثوري وحيد بالنسبة للمضمون الاجتماعي . ٣ ـ ان مشكلتنا الاساسية هي مشكلة التحرير . ٤ ـ اننا طلائع الشعب التي تحقق التحرير ، واننا ملزمون أمامها بايجاد المضمون الاجتماعي الذي يخدم مصالحها ويفي بحاجتها . ٥ ـ ان ظروف معركتنا الان تحتم علينا : ا ـ استقطاب كل القوى الفلسطينية والعربية الثورية . ب ـ «عدم الخوض في معارك خلفية تستنزف قوانا العاملة...» وعدم الدخول «في جدل بيزنطي حول الصورة الاجتماعية لوطننا بعد التحرير» ، ج ـ ان فلسطين بوضعها الحالي تفتقد الىالعوامل المكونة للمضمون الاجتماعي .

ولن نناقش الان ما في الطرح السابق من عيوب ونقائص . الا ان علينا ان نذكر هنا بأن الاتجاه النظري والممارسات العملية كانت مناقضة لهذا التوجه تماما . وبدا هذا من خلال ما يلي :

ا ـ حذف شعار الارض للسواعد الثورية التي تحررها من المبادىء

والاهداف والاساليب في مقدمة اللائحة الداخلية للتنظيم في الاقاليم ، كما حذف في بعض النشرات .

ب ـ بات معنى ان قضية التحرير هي القضية الاساسية ان لا قضية غيرها ، وانها مفصولة عن كل مضمون اجتماعي .

ج ـ صار معنى استقطاب كل القوى الثورية المساواة بين كل القوى في الساحة الفلسطينية والعربية ، فلا رجعية ولا تقدمية ، ولا عميلة ولا وطنية .

د ـ طغى اتجاه معادٍ للحوار الايديولوجي وللقضايا ذات الطابع الايديولوجي وحتى للمصطلحات التي تتعلق بالفكر التقدمي ، وباتت بعض الكلمات ممجوجة ، مثل حزب ، تقدمية وقوى تقدمية ، اشتراكية ، شيوعية، ثورة عربية، وحدة عربيةالخ.

هـ ـ استخدم اتجاه لا يسار ولا يمين في الحركة للحيلولة دون مناقشة هذه القضايا ، ولفرض اتجاه على خط سيرها .

و ـ جرت محاولات لطرح التراث بديلا للفكر الحديث ، ولطرح الاسلام بديلا لكل ايديولوجات العصر الحديث .

ان قضية المضمون الاجتماعي من القضايا الاساسية في الثورة ، وهي يجب ان تطرح وان تناقش ، وان يحدد موقف واضح فيها . وفي هذا المجال لا بد من التركيز على ما يلي :

اولا : ان قضية التحرير هي القضية الاساسية ، ولكنها ليست منعزلة عن القضايا الاجتماعية للواقع العربي ، ولحركة تقدمه ، ولصراعه مع التخلف والامبريالية والرجعية الخ .

ثانيا : ان الطلائع المناضلة من اجل تحرير فلسطين هي طلائع حركة التحرير والتقدم في المجتمع الفلسطيني والعربي ، وانها الطلائع المعبرة عن مصالح الجماهير ومطامحها ، المجسدة لهذه المصالح والمطامح في نضالها .

ثالثا : ان معركة التحرير ، لانها معركة ضد عدو اجنبي ، وضد احتلال شرس ، تقتضي استقطاب كل القوى . ولكن هذا

الاستقطاب يتم ضمن عملية الصراع السياسي والاجتماعي ، فلسطينيا وعربيا ودوليا . وهذا يعني :

أ ـ ان القوى الوطنية ذات المصالح المعادية للاحتلال هي وحدها القوى المدعوة للتحالف ، المستعدة له ، القادرة عليه .

ب ـ ان هذا التحالف يجب ان تقوده القوى الاكثر تقدما في المجتمع، والاكثر تعبيرا عن مصالح اوسع الجماهير ومطامحها.

جـ ـ ان هذا التحالف يتم ضمن اطار الثورة القومية الديمقراطية العربية الشاملة ، وعلى اساسها برنامجها ، وليس على اساس الوضع الراهن لان التحالف على اساس الوضع الراهن لا يقود الى تحرير ، والتحالفات ضمنه لا تؤدي الا الى استمرار الهزيمة والاستسلام . ومن هنا تصبح كل محاولات فصل قضية تحرير فلسطين عن الثورة القومية الديمقراطية العربية وعزلها عن الجماهير العربية وقضاياها انما هي محاولات تقود الى فرض الحصار والتصفية على القضية الفلسطينية .

د ـ ان اية تحالفات تقوم ، يجب ان تخدم خطة التحرير باعتبارها جزء من الثورة القومية الديمقراطية العربية الشاملة ، ويجب ان تأخذ باعتبارها الحقائق السالفة . وعلى هذه الزاوية يجب ان تقوم التحالفات ، ومن هذا المنطلق يجب ان تقرر المواقف من القوى المختلفة : تحالفا او حيادا او عداء .

ان كون المعركة معركة مع احتلال اجنبي ، ومع استعمار استيطاني ، يجعل المعركة القومية هي الاساس ، ولكن « المعارك الاجتماعية» «لا تختفي» و«الشعار الاجتماعي» لا يصبح «شعارا وهميا» ، كما جاء في الكراس ، ان المعارك القومية في العصر الحديث كانت دائما ، وفي عهد قيادة البرجوازية ، كما في عهد قيادة البروليتاريا ، معركة مع الاقطاع ومخلفات القرون الوسطى ايضا . واذا كانت المعارك القومية قد حملت معها في القرن

التاسع عشر سيادة البرجوازية وسقوط الاقطاع وقيام ديمقراطية البرجوازية ، اي دكتاتورية رأس المال ، فانها قد حملت معها في القرن العشرين سقوط الاقطاع والبرجوازية ـ الكمبرادور وقيام الديمقراطيات الجديدة .

واذا كان ليس هنالك معارك اجتماعية خالصة ، كما يقول لينين ، فانه ليس هنالك معارك قومية خالصة . ان كل معركة قومية ، لا بد من ان تكون بقيادة طبقة ، ولا بد من ان تتحالف فيها مجموعة من الطبقات ، ضد العدو الاجنبي ، وضد طبقة من الطبقات في الوطن .

واذا كان المجتمع في فلسطين المحتلة واقعا تحت احتلال اجنبي استيطاني شرس ، فان هذا لا يقود الى اختفاء المعارك الاجتماعية ، وان كان يجعلها في المرتبة التالية . وذلك للاسباب التالية :

أ ـ لان الطبقات لا تختفي بمجرد وجود احتلال خارجي . ان الطبقات تبقى ، يبقى العمال والفلاحون وتبقى البرجوازية الصغيرة والبرجوازية التجارية والصناعية والكمبرادور ، ويبقى الاقطاع اذا كان هنالك اقطاع . وبما ان الطبقات تحدد مواقفها على ضوء مصالحها ، فان بعض الطبقات تتحالف مع العدو ، وعلى رأس هذه الطبقات : الاقطاعية والكمبرادور . كما ان مصالح الطبقات المختلفة لا تتصادم بنفس القوة مع العدو . ولذلك يختلف عداء الطبقات، شدة وضعفا ، باختلاف تصادم مصالحها مع العدو . وهنا يصبح هناك تناقضات التناقض الاكبر : ما بين الجماهير من جهة والعدو الاجنبي من جهة أخرى . وتشترك الطبقات في هذا الصدام حسب تصادم مصالح كل منها مع العدو الاجنبي . والتناقض الاصغر : وهو التناقض بين الجماهير على ارض الوطن ، التناقض ما بين الطبقات المختلفة . والتناقض الاكبر لا يلغي التناقض الاصغر ابدا، ولا يحول دون تفجر الصراعات داخل التناقض الاصغر . واذا

كانت القوى الوطنية تطرح الجبهة الوطنية لمقاومة الاحتلال الاجنبي ، فان هذا لا يعني ان الجبهة ستلغي كل التناقضات والخلافات . سيظل هنالك صراع بين العمال وأرباب العمل وبين الفلاحين وملاك الاراضي وبين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الخ . ولكن هذا الصراع الذي لا تستطيع الجبهة ان تلغيه ، لا يستطيع هو ان يلغي ضرورتها . لذلك فان الجبهة هنا لا تعني التحالف فقط ، انها تعني التحالف والصراع ، التحالف والنقد ، التحالف والتخالف .

ب ـ لان المعركة في فلسطين لا تدور في جزيرة معزولة . انها جزء من المعركة على الارض العربية . والمعركة على الارض العربية معركة مع الامبريالية والصهيونية ، ولكنها معركة بين الطبقات ايضا . ولذلك فان معركة فلسطين ستظل تدور ضمن آفاق الصراعات الطبقية، حتى لو افترضنا انالاحتلال أضعف الصراعات الطبقية داخل الارض المحتلة الى الحد الاقصى .

ان قضية المضمون الاجتماعي للتحرير ، ليست قضية هامشية ولا هي قضية يمكن تجاهلها . ذلك ان وعينا للمضمون الاجتماعي لقضيتنا هو الذي يحدد مدى قدرتنا على تفجير الثورة وقيادتها، على تحديد قوى الثورة والقوى المعادية ، القوى الحليفة والقوى العدوة .

وصحيح ان حركتنا هي حركة تحرر وطني . ولكن حركة التحرر الوطني ذات مضمون اجتماعي . وهذا المضمون هو الذي يجب ان يحدد انطلاقا من ان الارض للسواعد الثورية التيتحررها.

واذا كان ليس مطلوبا ان ندخل في جدل بيزنطي حول صورة مجتمعنا بعد التحرير ، فانه مطلوب منا ان نبدأ حوارا جديا حول طبيعة حركتنا وثورتنا الان ، وحول اتجاه سيرها في المستقبل .

ان الهروب من بحث قضية المضمون الاجتماعي لا يلغيها ولا يلغي اهميتها ، ولا يمنع الجماهير والقوى المختلفة من الخوض في

بحثها . ولهذا فان محاولة تجنب بحثها تقود الى ملابسات ومشاكل لا حدود لها ، والى بروز تيارات طفولية او متحجرة .

خاتمة :

ان ركائز الخط الاستراتيجي العام لا يجوز ان تبقى موضع اختلاف واضطراب . انها يجب ان تكون واضحة ومحددة ، ومعبرة عن مصالح الجماهير ومطامحها . وهذا يعني ان العموميات لا تكفي، كما يعني ان اهمال مناقشة القضايا يقود الى الالتباس والضياع.

وهذا يفرض علينا ما يلي :

اولا : ان نعمل على تحديد منطلقاتنا وأهدافنا تحديدا لا لبس فيه ولا ابهام . فلا تكفي العموميات ولا تغني الشعارات .

ثانيا : ان نزيل كثيرا من الشوائب والافكار الخاطئة التي علقت بمنطلقاتنا وأهدافنا .

ثالثا : ان نوضح بلا تردد المضمون الثوري لحركتنا ، الطبيعة الجماهيرية لحرب الشعب ، العلاقة الجدلية بين حركتنا وحركة التحرر الوطني العربية ، وقوى التحرر والتقـــدم في العالم ، والعلاقة الجدلية بين الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية .

رابعا : ان نعمل على بناء التنظيم القادر على تجسيد المنطلقات والاهداف ، والمؤهل لقيادة الثورة حتى النصر .

خامسا : ان نحارب بلا هوادة الممارسات المعادية للوعـــي والتنظيم ، المناهضة للتسييس ، والتي تكرس العفوية والذاتيـة والشللية والروح البيروقراطية والعسكرية .

وهذا لن يكون الا بتطبيق قرارات المؤتمر الثالث ، السياسية والتنظيمية والعسكرية. ان وضع هذه المقررات على الرف ومقاومة تنفيذها ، لن يساعد الحركة على الخروج من ازمتها بل يزيد الازمة تفاقما . وما نحتاج اليه هو مزيد من الحوار الديمقراطي عبـــر

المؤتمرات وعبر اجتماعات المجلس الثوري ، وعبر اجتماعـــات مؤتمرات الاقاليم والمناطق، من اجل تكريس خط سياسيوعسكري وتنظيمي سليم ، ومن اجل بلورة وعي القيادات والكوادر بهـذا الخـط .

ان النزعات المحافظة التي تقدس الماضي ، وترفض اغنـــاء المنطلقات واستيعاب حقائق الوضع الجديدة انما هي نزعات تحرص على تخلف الحركة وموتها اكثر مما تحرص على تقدمها ونهوضها . ان التحرير الكامل واستمرار القتال حتى النصر ، وخوض الحرب الشعبية الطويلة المدى هي الموضوعات التي لا يمكن ان نقبل مساسا بها . ولكن كيف تكون حرب الشعب مثلا ، وكيف تكون علاقاتنا العربية والدولية ، وكيف نبني تنظيمنا الخ فهذه موضوعات تحتاج دائما الى ان تعنى بالممارسة ، والى ان تأخذ حقائق الواقع بعين الاعتبار .

ان الحريصين على حركتنا والحريصين على ثورتنا ، مطالبون اكثر من اي وقت مضى باستيعاب هذه الموضوعات .

حزيران وتموز ١٩٧٢

حركتنا والعمل الجماهيري

طرحت * فتح ، منذ نشأت خلاياها الاولى ، ان لا ثورة بلا جماهير . واذا كان ليس سهلا ان نتتبع ملامح تصور متكامل في هذا المجال ، فذلك عائد الى عاملين : الاول : كون العمل بدأ سريا وكان يحتاج الى كثير من التكتم والاستخفاء في ايامه الاولى ، وحتى معركة الكرامة سنة ١٩٦٨ . الثاني : كون حركتنا قد ركزت في البدء على ان العمل المسلح هو وسيلة استنهاض الجماهير . ولكن الخلايا الصغيرة اخذت تنمو . وبدأ سنة ١٩٦٥ العمل المسلح: فأخذ يستقطب تأييدا جماهيريا متزايدا من جهة ، كما اخذ يستثير القوى المعادية ، وعلى راسها النظام الاردني . وخلال هذا كله بدأت خطوط العمل الجماهيري تتضح . كان هناك الاتجاه نحو منظمة التحرير وكان هنالك الاتجاه نحو الاتحادات الشعبية الفلسطينية. وكان هنالك فوق ذلك تجميع للصبية والفتيان حول قواعد المقاتلين الناشئة في الاغوار .

---

* شؤون فلسطينية ، العدد ١٧ .

وبدأت الحركة بعد حرب حزيران تطرح اهدافها ومنطلقاتها ، كما لم تفعل من قبل . ونستطيع ان نتلمس في الكراسات التي صدرت منذ ذلك الحين مبادىء عامة حول دور الجماهير والعمل الجماهيري . ونحن نجد هذه المبادىء موزعة هنا وهناك . ومن الضروري ان نقدم بعضا منها : ـ «ان الاتصال الحي بين الثورة والجماهير في كل مراحلها هو العامل الاصيل في انجاح الثورة وضمان استمرارها الصاعد» (١) . ـ «ان نقطة البداية في تحرير الاقطار المحتلة هي الاعتماد على الجماهير كقوة ثورية قادرة على تصفية الاحتلال والاستعمار المباشر ...» . ـ «كما ان أسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد ان يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة اساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي ، لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ولا بد للعمل الجماهيري المنظم ان يتخذ العنف المسلح أسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه» . ـ «واذا كان للشعب الفلسطيني دور طليعي فلا بد له ان يحقق لنفسه هذا الدور الطليعي بتعبئة نفسه وتنظيم جماهيره وخوض المعركة بقناعة وايمان ...» (٢) .

وجرت محاولات بعد ذلك تستهدف تحديد تصور أوضح لدور الجماهير والعمل الجماهيري . وهذه المحاولات متناثرة في ادبيات

---

١ ـ ح.ت.و.ف (فتح) : كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة ، **دراسات وتجارب ثورية** رقم ٢ ، ص ٩ .

٢ ـ ح.ت.و.ف (فتح) : تحرير الاقطار المحتلة ، دراسات وتجارب ثورية رقم ٨ ، ص ١ ، ٢ ، ٢٤ .

حركتنا ، موزعة ما بين نشرات سرية واخرى علنية (١) . الا ان ما نود ان نشير اليه هو ان الممارسات العملية تجاوزت التنظير والتحديد . ولقد شهدت السنوات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ اندفاعا نحو بناء المنظمات الجماهيرية . وكان ان قامت منظمات شعبية ، ونمت وترعرعت منظمات أخرى . وكان أبرز المؤسسات التي قامت : الميليشيا والاشبال والزهرات ، وابرز المؤسسات التي نمت وترعرعت : اتحادات العمال والمرأة والطلاب الخ .

عقبات تقف في الطريق :

ولكن هذه الاندفاعة ، بما ترمي اليه من تعبئة للجماهير وتنظيم لها كانت تصطدم بمجموعة من العقبات أهمها: اولا: عيوب ونقائص في التنظيم القائد . وكانت هذه العيوب والنقائص تتمثل في : أ ـ غياب التنظيم الطليعي ، الموحد ، الفعال ، الذي تحكم اصوله واطرافه،مبادىء خط سياسي موحد . ب ـ سيطرة بعض المفاهيم العسكرية التقليدية على العمل العسكري . ج ـ سيطرة روح بيروقراطية على العمل التنظيمي .

لقد كان العمل الشعبي يمتد وسط تيار يحتقر العمل السياسي ويسفهه . وكان التنظيم القائد عاجزا ، بسبب تناقضاته ، عن استيعاب الموجة الجماهيرية وتعبئتها وتنظيمها . والمنظمات الجماهيرية ليس سهلا ان تنمو وتترعرع دون التنظيم القائد ، لانه عقلها ومحركها وقائدها . لقد كان وضع التنظيم العام اذن لا

---

١ ـ الثورة الفلسطينية ، العدد ١٦ ، حزيران ١٩٦٩ : الثورة والعلاقة مع الجماهير . والثورة الفلسطينية ، العدد ٢٢٢ ، كانون الثاني ١٩٧٠ : الاشبال جيل النصر .

يساعد على بناء المنظمات الشعبية على أسس راسخة ، ولا يتعهدها بما تحتاجه من رعاية واهتمام .

ثانيا : تشتت الشعب الفلسطيني واختلاف الانظمة التي يخضع لها : وكان هذا التشتت واختلاف الانظمة يقود الى صعوبات جمة . ومن هذه الصعوبات : صعوبة الاتصال ، واختلاف الاوضاع ، واختلاف أسلوب التعامل واختلاف النظرة الى المنظمات الشعبية الخ . وهنالك ايضا المنظمات الشعبية في كل بلد عربي واختلاف نظرتها الى العمل الفلسطيني عامة والعمل الشعبي الفلسطيني خاصة . وكانت هذه العوامل كلها تعقد العملية وتخلق مزيدا من الصعوبات والعراقيل .

ثالثا : غياب تصور محدد لطبيعة العمل الشعبي ومهماته . وكانت هنالك آراء ومواقف وممارسات في هذا المجال . وكان يبدو مثلا ان هناك من يريد من هذه المنظمات ان تكون منظمات سياسية تابعة ، كل ما تفعله انها تؤيد القيادة السياسية . وكان هنالك بالمقابل من يريد ان يجعل من هذه المنظمات وسائل ضغط سياسي واقتصادي لمصلحة تنظيم معين او فئة معينة . وكان هنالك من يريد دفع الاتحادات المهنية في اتجاه النزعة الاقتصادية الانتهازية ، مستغلا سيطرة الثورة وهيبة بنادقها . ولقد جرت محاولات خلال هذا كله من اجل تحديد طبيعة العمل الشعبي ومهماته ، وخاصة المنظمات المهنية . وتم التركيز على ان المنظمات الشعبية هي منظمات سياسية اساسا ، ولكن هذا لا يجوز ان يلغي أهدافها النقابية والمهنية على ان تخضع الاهداف النقابية والمهنية المرحلية للخط الوطني العام ضمن كل مرحلة تاريخية . الا ان هذه المحاولات كانت تضيع وسط الاتجاهات المختلفة المتعارضة ، المغرقة في محافظتها او في طفوليتها .

رابعا : النقص في الخبرة والافتقار الى الكوادر : بما ان العمل الشعبي ليس له تقاليد عريقة في مجتمعنا العربي فقد واجهت

محاولات العمل الشعبي مسألتين مهمتين : الاولى : مسألة نقص الخبرة، والثانية : مسألة الافتقار الى الكادر . ان تجربة الشعب الفلسطيني في هذا المجال محدودة ، ذلك ان تجربته لم تنم بسبب ظروف الاحتلال اولا ، ثم بسبب ظروف التشرد والخضوع لانظمة تحارب كل أشكال التنظيم ، او بسبب ان التجربة السياسية لمعظم كوادره كانت تجربة سياسية قاصرة في ميدان العمل الشعبي . والعمل الشعبي يعتمد اكثر ما يعتمد على الخبرة والكادر . لهذا كانت المنظمات الواسعة التي نشأت تعاني من خلل اساسي في هذا المجال . ولم تكن معالجة هذا الخلل ممكنة بسهولة وفي مدة قصيرة من الزمن .

خامسا: الصراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي. وكان هنالك صراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي الفلسطيني . ولقد قاد هذا الصراع الى زيادة البلبلة والتشويش، كما قاد الى تعميق النزعة السياسية المحافظة من جهة والى تعزيز النزعة الاقتصادية الانتهازية ، من جهة اخرى . واغرق هذا الصراع العمل الشعبي في جو مزايدة كريه ، ولم يتح المجال لامكانات النمو الطبيعي . واذا كان هذا الصراع ضارا بالعمل الوطني عموما فقد كان ضارا بالعمل الشعبي خاصة . وكان ان دفع هذا الصراع السياسي الى اتجاهات سياسية مغلقة في المنظمات الشعبية ، والى محاولات مستميتة للسيطرة الفردانية عليها . ولكن وعلى الرغم من ذلك ، قامت منظمات شعبية ونمت وترعرعت أخرى واتسع نطاق العمل الشعبي وازدادت أهميته . ولما كان ليس سهلا ان نتحدث عن هذا كله بالتفصيل ، بسبب عدم توافر المعلومات اساسا ، فانني سأتحدث عن العمل الشعبي من خلال اتجاهاته الاساسية . وهذه الاتجاهات هي :

١ ــ الميليشيا : نشأت الميليشيا مع بداية تمركز قواعدنا في الاغوار ، وخاصة في مخيم الكرامة . ولم تكن الميليشيا في هذه

المرحلة مفصولة عن المقاتلين . ولكن الهجوم الذي شنته قوات دولة الاحتلال على الكرامة قاد الى أتساع قواعد الثورة من جهة ، والى زيادة التعاطف الجماهيري معها . ولقد ادى هذا الى اتساع بؤرها التنظيمية في المدن والمخيمات والارياف . وبدأت الاسلحة تنتشر مع انتشار التنظيم . ولكن الامكانيات المادية كانت قليلة ، كما ان الاهتمام بتكوين الميليشيا لم يكن مركزيا ولا مركزا . وعندما حدث اول صدام مع السلطة الاردنية في ٤-١١-٦٨ لم تكن هنالك ميليشيا بالمعنى المتعارف عليه ، ومع ذلك فان القلة المسلحة من اعضاء التنظيم والجماهير المسلحة لعبت دورا مهما في احباط مؤامرة التصفية الاولى . ولقد قاد هذا الصدام الى الشعور الملح بضرورة وجود الجماهير المسلحة . ولكن هذا الشعور لم يكن مبلورا ، ولذلك لم يجر العمل الجدي لاستيعاب الرغبة الجماهيرية في امتلاك السلاح . وكانت كل المحاولات الجادة تحبط او تعرقل لاسباب عديدة ، منها التركيز على ضرورة العمل داخل الارض المحتلة ، ومنها الخشية من استفزاز النظام الاردني ، او اعتبار توزيع الاسلحة على الجماهير المنظمة تدخلا في الشؤون الداخلية، ومنها ايضا الخشية من ان تصبح الجماهير المنظمة المسلحة مركز ثقل ذي شأن ، داخليا وخارجيا .

وكان هنالك عاملان معوقان في هذا المجال . الاول : انتشار روح احتقار العمل السياسي عموما ، والثاني : انتشار الروح العسكرية التقليدية .

ولقد كان هذان العاملان يخنقان تجربة الميليشيا . أولهما يضيق عليها ويحرمها من امكانات النمو ، المعنوية والمادية. وثانيهما يلبسها غير لبوسها ، ويسعى لاستبدال طابعها الشعبي بطابع عسكري تقليدي .

وظلت تجربة الميليشيا تتلكأ ، حتى جاءت أحداث العاشر من شباط في الاردن سنة ١٩٧٠ . كشفت هذه الاحداث حقيقتين :

الاولى : تبرهن ان الجماهير المنظمة المسلحة قادرة على مواجهة القوات النظامية ، وعلى حماية جماهيرها ، وان هذه الجماهير المنظمة المسلحة هي اداة الثورة في الدفاع عن نفسها وعن اهدافها وانجازاتها . الثانية : ان الثورة لم تول قضية تنظيم الجماهير وتسليحها الاهتمام اللازم ، او بعض الاهتمام اللازم ، ولذلك فقد واجهت الثورة مؤامرة النظام بالحد الادنى من التدريب والتسلح والتنظيم . وقاد اتضاح هاتين الحقيقتين الى زيادة الشعور بأهمية التنظيم والتدريب والتسليح . ولقد وضعت البرامج لذلك . وتحققت انجازات في هذا المجال ، ولكن العوامل المعرقلة ، وقصر المدة ما بين ١٠-٢-٧٠ و١٦-٩-٧٠ جعلت المجال محدودا وضيقا. وعندما حدث الصدام الكبير في ايلول اثبتت الميليشيا على الرغم من نقائصها الاساسية وعيوبها الكبيرة انها قادرة على المساهمة الجدية في الدفاع عن ثورتها وجماهيرها وفي منع قوات النظام من تحقيق الانتصار . ولقد نمت الميليشيا وترعرعت في الاردن اكثر من غيره . ولكنها ضربت بعد ايلول وقمعت . وهي الان موجودة في لبنان ، ولا نستطيع ان نقول انها موجودة في غيره .

وكان للميليشيا مهمات ثلاث رئيسية : اولا : حماية الثورة من مؤامرات القوى المضادة والتصدي لكل هجماتها واعتداءاتها . ثانيا : حماية الجماهير وتقديم كل اشكال المساعدة لها خلال القتال او في حالات الطوارىء او في الاوقات العادية . ثالثا : المشاركة مع قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني ، وفي رد الاعتداءات على المدن والقرى . واثبتت الميليشيا انها تستطيع القيام بهذا كله : لعبت دورا اساسيا في رد هجمات النظام على المدن الرئيسية ومواقع الثورة من ١٠-٢ الى ١٧-٩-٧٠ . كما انها عملت على توفير الحاجات الضرورية (الكهرباء ، الماء ، الغذاء) خلال اوقات الصدامات ، وعملت على ايصال الجرحى للمستشفيات بالتعاون مع الهلال الاحمر، وعلى توفير الامن والطمأنينة للمواطنين.

وشاركت فوق هذا الى جانب قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني (١) . لقد كانت تجربة الميليشيا من تجارب ثورتنا الرائدة . وهي تجربة في العمل الشعبي تتجاوز كل ما عرفته المنطقة ، على الرغم من كل نقائصها وعيوبها تجاوزا جذريا .

٢ ــ الاشبال والزهرات : ان اشراك الجماهير في الثورة مهمة اساسية من مهماتها . واذا كان هذا يقتضي اشراك الرجال والنساء، الشباب والشيوخ ، فما هو دور الصبيان والفتيان وما هو دور الفتيات ؟ ان هؤلاء يجب ان يشاركوا ، ويجب ان يعدوا . ومن هنا طرحت مسألة اعداد الاشبال والزهرات نفسها . كانوا فتياناً وفتيات استيقظوا على هزيمة حزيران ، ورأوا الهزيمة والمذلة ، ولكنهم في الوقت ذاته رأوا الفدائي . وفي الكرامة بدأ الاطفال يتحلقون امام الفارس الطالع من صحراء الهزيمة . واخذوا يرون فيه مثلهم وقدوتهم . ومن هنا بدأوا يتجمعون وينشدون الاناشيد الوطنية . واستجابت حركتنا الى الظاهرة الجديدة ، وأولت الصغار بعض اهتمامها . وعندما اخذ العدو يقصف المخيم قصفا متواصلا واخذ سكانه يغادرونه الى مدن الاردن المختلفة كان الاطفال والفتيان النازحون يحملون معهم تجربة الاشبال . واهتم التنيظم في الاردن بهذه التجربة . وبدأت الدراسات من اجل تحديد وظيفة هذه المؤسسة . ووضع لها برنامج يقوم على الاسس التالية :

«١ ــ التربية الوطنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفلسطينية الثورية والثقة بحتمية التحرير . ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي لفلسطين . جـ ــ تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق لها . د ــ التعريف بالعدو

---

١ ــ الثورة الفلسطينية ، العدد ٢٨ ، تموز ١٩٧٠ ، الصفحة ١٣ .

الصهيوني الاستعماري ودراسة خططه واساليبه .

٢ ـ التربية القومية وتهدف الى : أ ـ تنمية الروح العربية الثورية المؤمنة بحتمية الوحدة عن طريق تحرير فلسطين . ب ـ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي للوطن العربي . جـ ـ تفهم وتنمية الروابط الاجتماعية والمصيرية للامة العربية . د ـ شرح اهداف العدو الاساسية واطماعه ليس بفلسطين وحدها بل بالوطن العربي كله .

٣ ـ التربية الانسانية وتهدف الى : أ ـ التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من اجل التحرر من الاستعمار . ب ـ دراسة اساليب الاستعمار بأنواعه المختلفة للسيطرة على مصائر الشعوب النامية . جـ ـ شرح حروب التحرير الشعبية وتوضيح اثرها الفعال للقضاء على الاستعمار .

٤ ـ التربية الصحية وتهدف الى : أ ـ بث العادات الصحية السليمة والقضاء على العادات الضارة . ب ـ معرفة مواطن الامراض المعدية واسبابها وطرق انتشارها وطرق الوقاية منها . جـ ـ التدريب على الاسعاف الاولي .

٥ ـ التربية الاجتماعية وتهدف الى : أ ـ خلق الروح التعاونية وتنمية الخلق الاجتماعي . ب ـ تربية النشء على مبادىء الاخلاق الصحيحة من انتظام وتضحية وقيام بالواجب . جـ ـ الخدمة الاجتماعية العامة في الميادين الصحية والثقافية والتعميرية والترويحية .

٦ ـ التربية الرياضية وتهدف الى : أ ـ تنمية اللياقة البدنية وصيانتها . ب ـ صقل الروح والعقل باكتساب الاخلاق الرياضية لتحقيق العقل السليم والخلق السليم في الجسم السليم . جـ ـ تنمية المهارات البدنية النافعة . د ـ التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية .

٧ ـ التربية العسكرية وتهدف الى : أ ـ اعداد الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه وحماية حقه . ب ـ التمرس في الشؤون العسكرية والتفوق باستعمال الاسلحة الحديثة وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حرب الشعب . جـ ـ غرس التضحية والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات . د ـ تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الشباب .

٨ ـ التربية الكشفية وتهدف الى : أ ـ غرس روح البحث العلمي وأسسه من دقة ومثابرة وتحليل ومنطق . ب ـ تنمية المواهب العلمية بالتطبيق العملي . جـ ـ تطبيق العلم بالممارسة الحقيقية .

٩ ـ التربية الفنية وتهدف الى : أ ـ تنمية الروح الفنية والتذوق الفني . ب ـ صقل المواهب العقلية وافساح المجال امامها . جـ ـ احياء الفن الشعبي الفلسطيني والعمال على نشره . د ـ تنمية الموسيقى والغناء الجماعي .

١٠ ـ التربية المهنية وتهدف الى : أ ـ مساعدة الاشبال والفتوة على تقرير مصيرهم المهني الذي يختارونه . ب ـ تنمية المهارات اليدوية . جـ ـ تنمية روح البناء العملي من خلال الممارسة الحقيقية للمهنة» (١) .

ان تجربة الاشبال هذه لم تبق حبرا على ورق . لقد انتظم آلاف الاشبال في معسكراتهم . ولم يقتصر ذلك على المخيمات بل تم على نطاق المدن ايضا . واصبح حلم الصبي الفلسطيني والفتى الفلسطيني ان يصبح شبلا . وتطورت الفكرة فشملت البنات اللواتي سمين زهرات .

---

١ ـ الثورة الفلسطينية : الاشبال جيل النصر ، ص ٢٠ ـ ٢٤ ، العدد٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ .

ولكن تجربة الاشبال عانت كثيرا مما يلي : اولا : نقص الكادر، ذلك ان تجربة من هذا النوع بحاجة الى كادر واع مدرب ثوري يستطيع ان يصنع الاجيال . ولم يكن لدينا الا قلة من هذا النوع. ولم يكن التنظيم مهيأ لتخريج كوادر مـــن المستوى المطلوب . ثانيا : العقلية الاستعراضية : ذلك ان العقلية الاستعراضية انتقلت الى هذه المؤسسة ، فبات استعراض الاشبال في مهرجاناتهم امام الجمهور هو اكثر ما يستحق الاهتمام .

ومع ذلك فقد قدمت مؤسسة الاشبال مقاتلين نموذجيين ، قاتلوا واستشهد قسم منهم ، وما زال بعضهم الآخر يحمل تجربة الاشبال بين جنبيه . وعلى الرغم من ان تجربة الاشبال قصيرة العمر ، اذ انها بدات بعد حرب حزيران واهتـــزت بعد ايلول سنة ١٩٧٠ ، الا انها كانت تجربة غنية وتركت ابعد الاثر في نفسية الصبي الفلسطيني والفتى الفلسطيني والزهرة الفلسطينية .

٣ ــ الخدمات الاجتماعية : ولجأت حركتنا الى طريقة ثالثة للعمل في اوساط الجماهير، وهي الخدمات الاجتماعية . وتمثلت الخدمات الاجتماعية في الخدمات الصحية ومشاغل التأهيل . ولقد انشئت عيادات في المخيمات باسم الهلال الاحمر الفلسطيني، اهتمت بمعالجة الناس في المخيمات المهملة وبالدعاوة السياسية بينهم . ولقد اصبحت العيادات مراكز لقاء واستقطاب . كمـــا انشئت مشاغل التأهيل المهني التي استهدفت الوصول الى المراة. واستطاعت هذه المشاغل ان تخرج دورات ، وان تربي عددا مـــن الفتيات ، كما استطاعت ان تدخل بنات التنظيم الى البيـــوت المغلقة .

ولكن التجربة ضربت ايضا في ايلول ، وما تبقـــى منها الان خارج الاردن هو قليل من كثير .

٤ ــ المنظمات الشعبية : جرى التوجه نحو بناء المنظمـــات الشعبية او توسيعها ان وجدت في ميدان العمال والنساء والطلاب

والمهنيين . ولقد ازدادت عضوية المنظمات القائمة ازديادا كبيرا ، وانشئت منظمات جديدة . وبات الاهتمام بأمور المنظمات الشعبية جزء من عمل التنظيم على صعيد المركز وعلى صعيد الاقاليم . ويوجد الان فروع للمنظمات الشعبية الفلسطينية في كل مكان يوجد به فلسطينيون تقريبا . وهناك الان : اتحاد للعمال ، اتحاد للمرأة ، اتحاد للطلاب ، اتحاد للمعلمين، اتحاد الكتاب والصحفيين، اتحاد للحقوقيين ، اتحاد للمهندسين ، اتحاد لذوي المهن الطبية.

اساليب اخرى للعمل الجماهيري :

هذه هي اهم اساليب التعبئة من خلال المؤسسات . ولقد كانت هناك اساليب اخرى عامة او خاصة . كان هنالك مثلا التعبئة من خلال الندوات . وكانت الندوات تقام في مناسبات عديدة مثل ذكرى انطلاق الثورة ، ذكرى معركة الكرامة ، ذكرى التقسيم ووعد بلفور الخ . وكانت الندوات تصل الى كل مخيم وحي وبلدة . كما كانت تقام الندوات الجماهيرية في كل وقت يجري الاحساس فيه بضرورة ايضاح ظاهرة معينة او خطر معين. ومن هذه الندوات التي اقيمت عند اعلان الموافقة على مشروع روجرز . واستخدمت في هذا المجال ايضا الندوات الشعرية التي اثبتت انها ذات فعالية عالية . وكانت هنالك ايضا زيارة مقابر الشهداء في الاعياد . وكان يتم الاحتفال بحشد تشترك فيه المنظمات الشعبية والجماهير ، يتوجه الى المقابر حسب برنامج معين . وكان هنالك ايضا الاحتفال بدفن الشهداء والمهرجانات التي تقام لهم في الاحياء ، بالمناسبات المختلفة . هذا بالاضافة الى الاتصال الفردي وتوزيع النشرات والعمليات في الارض المحتلة ، والتصدي للنظام الاردني . ولقد كانت عمليات الارض المحتلة

وعمليات التصدي للنظام الاردني أرقى اشكال التعبئة واكثرهـــا فعالية .

محاولة تقييم :

ما زالت تجربة العمل الجماهيري الفلسطيني دون تقييـــــم حقيقي. ولقد اتسعت ونمت في قطاعات ، كما حدث بالنسبـــة للطلاب والعمال والمهنيين ، وضعفت في مجالات اخرى مثـــل الاشبال والميليشيا والخدمات الصحية والاجتماعية . ولكنهـــا تجربة ما زالت قائمة على كل حال ، وما زالت تلعب دورا فـــي الحياة الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني . ومن الواجب ان تقيم حتى يكون ممكنا تطويرها وتخليصها من كثير من الشوائب والنقائص . وما زال المراقب يلاحظ ما يلي : اولا : ان التصور العام الشامل لطبيعة هذه المنظمات ولمهماتها ما زال غائبا . وان كثيرا من الدوافع وكثيرا من المواقف ما زالت تتلاعب بهـــذه المنظمات . مع العلم بأن هذه المنظمات لن تستطيع معالجة مشاكلها وتطوير نفسها بدون هذا التصور الشامل . ثانيا : ما زالت هذه المنظمات تفتقد جهاز التوجيه المركزي او جهاز التنسيق المركزي، ولم يقم حتى الان مجلس اعلى للاتحادات ، ولا استطاع التنظيـم الشعبي ان يلعب دور الموجه والمنسق . ثالثا : وما زالت هـذه المنظمات تعكس واقع العمل التنظيمي في الحركات السياسيـــة القائدة ، وواقع العلاقات بين هذه الحركات . رابعا : وما زالت هذه المنظمات ايضا تعاني من نقص الخبرة ومن الافتقار الـــى الكادر ، وهذه قضية اساسية من قضايا هذه المنظمات . خامسا: وما زالت هذه المنظمات تواجه مشكلة القيادات التي فرضتهـــا السياسة على العمل الشعبي ، دون ان تكون كفاءات سياسية او نقابية ، ودون ان يكون لها جذور في الاوساط التي تقودها .

خاتمـة :

ان هذه المنظمات من انجازات شعبنا ، واذا كانت المحافظـــة عليها واجبة ، فان تطويرها هو اكثر الواجبات الحاحا . ولا يمكن ان تتم عملية التطوير هذه الا بالنضال من اجل ارساء مفاهيـــم صحيحة للعمل النقابي وتقاليد صحيحة للممارســـات النقابية ، ضمن اطار الوعي العلمي لمهمات المنظمات الشعبية ، وعلى راسها المهمات السياسية .

القسم الثاني

حول الخط الاستراتيجي العام لثورتنا اليسار الطفولي والثورة الفلسطينية

ذكرني * كتاب صادق جلال العظم : «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية» بقصة الملكة ماري انطوانيت مع الجماهير ، ذلك ان الملكة ماري انطوانيت قابلت صراخ الجماهير الهاجمة على القصر ، والهاتفة نريد الخبز بالحل التالي : «اذا كان ليس هنالك خبز ، فلماذا لا تعطوهم بسكويت» . والدكتور صادق جلال العظم انهى نقده الطويل الذي يملأ مائتين وثلاثا وخمسين صفحة بثلاث نصائح ، احتلت أقل من صفحة وثلث ، اقتبسها من ماوتسي‌تونغ: وهذه النصائح الثلاث هي : النظرية الثورية ، الحزب الثوري ،

---

* شؤون فلسطينية : العدد ٢١ .

الوقوف الى جانب الاشتراكية او الامبريالية . وهكذا حول صادق هذه القضايا الثورية الاساسية الثلاث ، بالطريقة التي طرحها بها، الى «بسكويت» مثل بسكويت ماري انطوانيت .

ولقد ساقنا معه مسافة مائتين وثلاث وخمسين صفحة ليقدم لنا بسكويت ماري انطوانيت ، ولكنه في هـذه المرة «بسكويت ماركسي» . وكما ان الجماهير التـي كانت تحاصر قصر ماري انطوانيت لم تكن تطلب منها الخبز ، فان جماهيرنا الباحثة عـن الخبز لم تتوجه الى الدكتور صادق جلال العظم طالبة منـه البسكويت .

ولكن الدكتور صادق تبرع بذلك . وتبرعه السخي يكشف عقلية بعض المثقفين ، والعرب منهم خاصة ، الذين يظنون بـأن قراءة بعض الكتب تغنيهم عن الممارسة ، وعن فهم الواقع وقواه، وتجعلهم يقدمون بسكويتا نظريا لجماهير لا يتعدى حلمها « الخبز اليابس » .

وهم في النهاية لا يعتبرون انفسهم مطالبين بشيء غير هـذه «النصائح الثورية الجميلة» . الحل السهل : انه النظرية والحزب والانحياز الى الاشتراكية ، وكل ما عداه خطأ وانحراف وعجـز وقصور الخ ... الخ وعلى الجماهير ان تفهم وان تتعلم وان تهضم النظرية وتنشىء الحزب ، وتتخذ الموقف الحازم مع الاشتراكية ضد الامبريالية .

ولقد بدأ صادق كتابه مؤكدا ان منهجه مختلف عن منهـج الياس مرقص وانه لا يذهب مذهبه ، ولكنه في الحقيقة يتبنى المنهج ذاته ، ليتخطى الياس بعيدا على طريق الميثولوجيا الماركسية الحديثة ، او على طريق بسكويت ماري انطوانيت .

كيـف ؟

لقد كان الياس من حيث المنهج ذاتيا وسطحيا وانتقائيا وأحادي الجانب فجاء صادق ليتبنى هذا المنهج ، وليعزز اقانيمه الثلاثة .

الياس تبنى الاثافي الثلاث : الحرب النظامية ، الناصرية ، السلم مقابل : الحرب الشعبية ، رفض الاستسلام واستمرار القتال ، وجاء صادق ليتبنى اثافي ثلاثا اخرى ، بالطريقة نفسها ، هي : النظرية الثورية ، الحزب ، الانحياز الى معسكر الاشتراكية ، مقابل كل شيء ، بعد ان جردها من كل مضمون ثوري ، ومن تماسها المباشر مع الواقع المحسوس .

وقد قاد هذا المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب صادق جلال العظم الى الوقوع في مزالق التعميم والاجتزاء والاختزال والمغالطة . وسوف نضرب أمثلة واضحة على كل منها:

اولا : **التعميم** سنضرب هنا مثلين :

الاول : حول فكر المقاومة : ان عنوان الكتاب هو دراسة نقدية لفكر المقاومة . ويقول صادق في المقدمة «تطمح محاولتي الى تقديم تقييم نقدي لعدد من الافكار والاتجاهات والممارسات الرئيسية التي سادت في حركة المقاومة وسيطرت على عملها وخاصة في منظمة فتح» (ص ٧) . ولكن صادق لما يلبث ان يقول «ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة» . ويضيف صادق الى ذلك ما يلي : «يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص ، واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب» . ثم يحاول تبرير ذلك قائلا : «هذا الرأي ليس اجتهادا من عندي في تفسير الواقع الذي ساد وتحكم بمسيرة المرحلة المعنية ، بل هو مجرد اقرار غير منقوص بما تقوله منظمة فتح عن نفسها باصرار وشدة ، حيث تعتبر ان الثورة الفلسطينية معادلة لفتح لا اكثر ولا اقل» (ص ١٢) .

وصادق هنا يحاول ان يقنعنا بفكرة مسبقة فلا يجد المبررات

المقنعة ، ولذلك يلوذ بفكرة ينسبها لفتح . ولكن هل هذا التعميم صحيح ؟

ان فتح هي «العمود الفقري» للمنظمات ، وهذه نظرة طرحت في بعض ادبيات فتح ، ولكن هناك منظمات اخرى. وهذه المنظمات الاخرى لا تعترف بهذه الحقيقة ، لانها تطالب بالمساواة التامة في المجلس الوطني والمنظمات الشعبية . وهنالك لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير فيها اثنان لفتح من عشرة اعضاء . ثم ان المنظمات ليس بحجمها ، وقد عودتنا المنظمات ان تضرب عرض الحائط بهـــذه النظرية التي يتبناها صادق ، فالمنظمة الكبيرة اليوم من يقول بأنها ستبقى كبيرة في المستقبل . والآراء والاتجاهات لا تقيم بحجـــم المنظمات فحسب . وفوق هذا ، فان المنظمات عودتنا ان تنظر الى فتح على انها تمثل الاتجاه اليميني المتخلف في الحركة الوطنية ، وعودتنا ان تنسب لنفسها انها تمثل الاتجاه الثـــوري الجذري البروليتاري . ولقد كان صادق ، وما زال ، كما يبدو في كتابه، من انصار هذا الرأي . فكيف يسمح لنفسه بأن يقيم حركة المقاومة من خلال فتح ؟ وكيف يرضى ان يفرض هذا التعميم على حركـة المقاومة ؟ واذا كانت فتح قد فرضت منهجها واسلوبها على المنظمات الاخرى ، وخاصة ممثلة الاتجاه الثوري الجذري البروليتاري ، الا يعني ذلك ان هذه المنظمات يجب ان «تقيم» حتى نرى كيـــف يفرض اليمين المتخلف فكره ومنهجه واسلوبه على اليسار الثوري الجذري البروليتاري ! وهكذا تبدو القضية واضحـــة ، فحين يبحث موضوع الوحدة الوطنية تصر المنظمات على التكافؤ فـــي التمثيل ، وترفض نظرية العمود الفقري ، وحين يبحث فكـــر المقاومة في المجلات والجلسات يعتبر فكر فتح متخلفا ، وفكـــر المنظمات الاخرى متقدما، وحين تستهدف ادانة فتح يصبح فكرها هو السائد .

ان صادقا لا يجيبنا على هذا كله . انه يكتفي بالقول في نهاية كتابه «... ان منظمات مثل الجبهة الشعبية والجبهة الشعبيـة

الديمقراطية قد برهنت عن عجز مزمن في القدرة على بناء نفسها تنظيميا وماديا ، وتدريب مناضليهـــا وكوادرها ، ووضـــع استراتيجيتها وتكتيكاتها بصورة تتناسب مع تحليلاتها النظريـــة الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة حول طبيعة حركة التحـــرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها». (ص ٢٥١) . ولكنه ، وعلى الرغم من هذه الفاجعة لا يرى مناسبا ان «يقيم» افكار هذا اليسار الثوري الجذري البروليتاري ! ويبدو ان صادق ينسى ان هذه الثلاثية ليست جديدة ، وان ذوي الافكار المتقدمة ــ كما يدعوهم ــ طرحوا هذه الثلاثيـــة ، وكان صادق معهم ، ولكن هذه الثلاثية ظلت «حلما» . وهكذا نجد ان بسكويت صادق «قديم» .

ومن هنا نرى ان هذا التعميم غير علمي ، وانه فوق هـــذا يستهدف غايتين :

الاولى : الاجهاز على فتح بتحميلها مسؤولية كل الاخطـــاء والاخفاقات ، والقاء الاضواء على أخطائها واخفاقاتها ، دون وضع «فتح» ضمن المنظومة الفلسطينية ، وضمن تفاعلاتها وتناقضاتها.

الثانية : تبرئة المنظمات الاخرى من المسؤولية، مع انها تتحمل مسؤولية كبيرة ، لا تقل عن مسؤولية فتح فيما حدث قبل ايلول وخلالها وبعدها .

ومن هنا يجب ان ينظر الى كتاب صادق على انه جزء من حملة التصفية الايديولوجية لفتح ، وبالتالي لحركة المقاومة .

الثاني : الماوية في فتح : يركز صادق على ان هناك خطا ماويا في فتح . ولكنه لا يقول من اين جاء بهذه الموضوعة ، ولا كيـــف استنتجها . ويبدو انه بنى قراره على بعض الاقتباسات التـــي قراها هنا وهناك . لانه ليس هنالك من يدعي ، داخل فتح ، بأنه يمثل خطا ماويا . هذا بالاضافة الى اننا نرى ان هذه التسمية ليست صحيحة ، فيما يتعلق بثورتنا وقضيتنا ، والاصح ان يقال هنالك خط ثوري صحيح او غير صحيح .

ثم ان ماو لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، وهو ليس مطالبا ان يطرح خطا للثورة الفلسطينية والثورة العربية ، لان ذلك من واجب الثوريين العرب .

ومع هذا نجد ان صادقا يقدمني ويقدم منيرا وهاني الحسن وآخرين على اننا ممثلون لاتجاه ماوي . وهو تصنيف لا يقوم على اساس ، ويثير الاستغراب لتهافته ، ويستدعي التفكير بأهدافه ، لانه مكشوف التهافت الى درجة كبيرة ، وخاصة داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

ثانيا ـ **الاجتزاء والاختزال** :

اذا كان التعميم خطرا فان الاجتزاء لا يقل خطورة . وصادق الذي ابلى في الاولى ، يحرز قصب السبق في الثانية . انه يقتبس ما يحلو له دون ان يذكر سياقه ، ودون ان يشير الى الظروف التي قيل فيها . ومن هنا تبدو النصوص المقتبسة غريبة وسط المقاطع التي حبَّرها وجعلها فواصل بين الاقتباسات ، كما تبدو الاقتباسات غريبة عن أصولها .

وسأورد هنا مثلين فقط :

الاول : يتعلق باقتباس انتزعه صادق من نص لي ، واكتفي ان يورد منه ما يلي : «ان تتكيف (اي الجيوش النظامية) مع الحرب الشعبية الطويلة المدى ، وان يعاد تثقيفها باحترام الجماهير والثقة بها ومحبتها ، وتقدير امكانياتها حق قدرها واحترام ممارساتها» (ص ١١٢) . وقد اعتبر صادق انني توصلت الى هذه النتيجة الغريبة ، بناء على تشخيصي «لطبيعة التناقض بين المقاومة والنظام الهاشمي» ولذلك يتلخص موقفي بمطالبة «الجيوش النظامية القائمة» بما فيها جيش الملك حسين بأن تتغير (لان ناجي علوش لا يميز في كلامه بين جيش قائم وآخر) .

وعلق صادق على هذا الاستشهاد بقوله : «السؤال الاساسي الذي لا يتطرق اليه ناجي علوش في طرحه الطوباوي لهذا المطلب وما يشبهه هو : من هي القوة العربية المسيطرة حاليا التي يعتقد

ان من مصلحتها ان تتكيف «الجيوش النظامية القائمة» مع الحرب الشعبية الطويلة المدى الخ ؟» ويمضي صادق في تساؤلاته مضيفا «... يحق لنا ان نسأله الى من تتوجه بهذه النصيحة الرائعة ؟ الى هيئات الاركان المسيطرة في الجيوش العربية النظامية القائمة ؟ ام الى الطبقات العربية الحاكمة» (ص ١١٣) .

وما اقتبسه صادق من نص لي ، منتزعا من سياقه ، يجب ان نعيده الى سياقه . والسياق هو مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية ومبادىء وأسس لعلاقات مع الجماهير العربية، تتجاوز الانظمة ، تقدمية او رجعية وتتجاوز قيادات المقاومة ، وهذا ما هو واضح في النص . والفقرة المقتبسة هي ليست الا الفقرة (ج) من البند (سابعا) .

واشرنا في النص الى ان «تحقيق هذا البرنامج يحتاج الى نضال دائب ووعي سياسي نافذ» ، كما اشرنا الى ان الانظمة العربية عقبة حقيقية في طريق تحقيق هذا البرنامج . ويستطيع القارىء ان يراجع كتابي : الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها . الصفحات (١٢٣ ــ ١٢٨) ليرى ما فعله صادق العظم .

ويأتي صادق بعد هذا كله لينهال على القارىء بمجموعة من الاسئلة التي تتهم ناجي علوش بالتوجه الى الانظمة ، والى نظام الملك حسين بالذات من اجل تكييف جيوشها مع الحرب الشعبية ...!

الثاني : انتزع صادق فقرتين من سياقهما ، الاولى من صفحة ١٢٢ والثانية من صفحة ١٣٠ ودمجهما معا ، وعزلهما عن سياقهما .

اورد صادق النص كما يلي : «تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية، واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح ... ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني

دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » (ص ١١٠) .

ويعلق صادق على ذلك قائلا : «لنلاحظ هنا انه نتيجة لاعتباره التناقض مع النظام «المرتبط بالامبريالية والخاضع لمخططاتها» في الاردن تناقضا ثانويا ، يمتنع ناجي علوش عن التركيز على الخطر المباشر (الذي لا يقل في اهميته عن الخطر الاسرائيلي) الذي يشكله هذا النظام على المقاومة . لذلك يصفه بعبارات لا توحي بأن النظام يتحرك بصورة ديناميكية ليضرب المقاومة ويصفيها بل بعبارات مخصصة لوصف ردود الفعل فقط وليس لمن يأخذ زمام المبادرة والاقدام» (ص ١١٠) .

وسوف أورد فيما يلي الفقرتين كما جاءتا في كتابي : الموضوع موضوع العلاقات مع الجماهير العربية ، جاء في كتابي :

«وعلى الرغم من ان هذه القضية كانت تشغل بال الكثيرين ، وكانت موضوع همس في الكواليس وموضوع مناقشات خاصة ، متضاربة وحارة احيانا ، فانها لم تكن موضوع مناقشة عامة واضحة وصريحة . السبب بالطبع ، التحسب من الحساسيات والحرص على عدم الدخول في دوامة التناقضات السياسية العربية .

واذا كان هذا مبررا ، فيما مضى ، نتيجة ظروف موضوعية كثيرة ، ونتيجة الشرط الذاتي للثورة الفلسطينية ، فانه لا يجوز ان يستمر التبرير بعد الان . كانت الثورة فيما مضى بحاجة الى تهدئة الامور وتجميد الخلافات ، مهما كانت ، لتتاح لها فرصة اكبر للنمو والاستعداد . وكانت الثورة ، بسبب ذلك ، مستعدة لقبول السياسات العربية ، كما هي ، وغير مستعدة للمواجهة الا حين تصبح السياسات العربية خطرا مباشرا على الثورة . ولكن المرحلة الجديدة ، مع انها تحتاج الى تخفيف حدة النزاع والصراع

على الجبهة الداخلية ، وفي المؤخرة ، وعدم الانجرار الى معارك جانبية ، فانها تقتضي التأكيد على حقيقتين :

الاولى : ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين ، والاردن ـ سوريا ـ لبنان ـ بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع الثورة ان تحرك الداخل وتمده بأسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحـزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع .

الثانية : ضرورة ان يوضع برنامج للعمل ، يحقق الوحـدة الوطنية الفلسطينية من جهة ، ويحقق جبهة وطنية مع الحركات الوطنية والجماهير الوطنية في المناطق المحيطة بالاحتلال خاصة ، وبالبلاد العربية عامة . ومثل هذا البرنامج ضروري لتحقيـق التفاعل الحقيقي بين الثورة وجماهيرها الفلسطينية والعربية .

ومن الضروري العمل بسرعـة لانجاز هاتين الغايتين لان انجازهما هو الذي يضمن توافر امكانيات تتيح للثورة التقـدم خطوات الى الامام .

ان انجازهما يضمن :

أ ـ توفير مناخ اكثر ملاءمة للتلاحم مع الجماهير .

ب ـ توفير امكانيات بشرية ومادية اكبر ، تجعل قدرة الثورة على تنمية قواها اكبر .

ج ـ توفير امكانيات سياسية اكبر لحماية الثـورة من المؤامرات الداخلية وتحركات القوى المضادة . وان ما يزيد من اهمية هذا كله **هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بأن الايام المقبلة تحمل لنا مفاجآت كبيرة.** ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

وهنا سنورد النص الذي اشار اليه صادق كاملا : «الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجـز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات

الجماهيرية واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح» .

اكتفى صادق ان يقف هنا وشطب الاضافة التالية : «**ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهناك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة**» (ص ١٢١ – ١٢٢) .

ولقد وضع صادق مكان هذه الفقرة ، التي تناقض استنتاجاته تماما ، فقرة من نص آخر ، سنوردها ايضا ضمن سياقها .

ذكرت انني كنت اقترح مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية . وذكرت انني اعتبرت الانظمة عائقا . وهذا هو النص : «فالانظمة تريد ان تمر علاقة الثورة الفلسطينية بالجماهير العربية من خرم ابرتها . وهي تعتبر ان اي تجاوز لهذا الخرم هو تجاوز لها واعتداء على وجودها وشرعيتها . ولما كانت الثورة الفلسطينية فيلا كبيرا لا يدخل من خروم الابر ، اصبحت القضية بالنسبة لهذه الانظمة واضحة ومحلولة : ان تضغط الثورة الفلسطينية نفسها لتصبح قادرة على ولوج خرم الابرة ، وان تمنع نفسها من ممارسة اية علاقة مع الجماهير العربية خارج «الخرم الرسمي» .

ولما كان الخرم الرسمي مستعصيا على شعرة من شعرات الفيل ، لا على الفيل كله ، اصبحت علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية علاقة **تلامس وتضاد** : الفيل يحاول ولوج خرم الابرة فيرتد دون اية نتيجة .

وهكذا تقف «الانظمة» حاجزا بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . ووقوفها حاجزا يحد من امكانيات التفاعل المنظم ، ويعرقل نمو العلاقات وتطورها . و«الانظمة» عموما عاجزة ومقصرة ، تغطي قصورها وعجزها بالبيانات والادعاءات . والثورة لا تستطيع ان تربط مصيرها بالقصور والعجز والمبالغة . فما العمل ؟

انها مهمة شاقة وعسيرة ولكن الثورة مطالبة بالعمل على تحقيقها . وتتلخص هذه المهمة في ضرورة النفاذ الى الجماهير ،

مهما كانت الظروف ، ومهما كانت النتائج ، لان تقنين علاقة الثورة **بالجماهير العربيـــة مؤامرة تستهدف خنقها وقتلها . والثورة لا يجوز أن تنتظر مقتلها ، وهي تدري ذلك .**

ثم يأتي النص الذي دمجه صادق ناقصا بالفقرة السابقة . وهذا هو النص « الا ان النفاذ الى الجماهير ، لا يعني بالضرورة الصدام مع الحكومات ، كل الحكومات مرة واحدة . ولا يعني البدء بالتحريض من اجل حرب اهلية عربية شاملة ، لان مثل هـــذا السلوك سيقود حتما الى فجيعة » .

لقد شطب صادق هذا كله من النص واكتفى بايراد الفقـــرة التالية منه : «ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير. وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف» .

اكتفى صادق بالفقرة المذكورة أعلاه دون ان يهتم بالفقـــرة التالية : «ولكي يكون الوضع طبيعيا ، وتكون المسيرة سليمة ، لا بد من أن تقوم الجماهير العربية ، من خلال ممارستها السياسية، ومن خلال منظماتها الشعبية بعملية التطوير هذه . وهذا يقتضي نمو حركة وطنية جماهيرية قادرة على الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبيرة» (الثورة الفلسطينية ص ١٢٨ – ١٣٠) .

وهكذا يبدو واضحا ان صادقا لعب بالنصوص لعبـــا قاتلا ، ليستخرج منها ، عكس ما رمت اليه . لقد اراد ان يقنع القارىء انني لا ادرك خطورة النظام الاردني ، وانني اتوقع ان تتكيف الانظمة العربية الخ . ولسوف أناقش موضوع موقفنا من النظام الاردني في مكان آخر . ولكني أريد هنا ان أسجل فقط ان صادقا لم يكن امينا في اقتباس النصوص ولا تفسيرها ، وانه اراد ان يلصق بنا تهما كبيرة لا تقوم على اساس .

ويكفي هذان المثلان للتدليل على أسلوب «صادق» في الاجتزاء والاختزال ، انهما يكفيان جدا ، ولا حاجة للمزيد لانهما يعطيـــان

صورة عن منهجه وأسلوبه .

ثالثا : **المغالطة**

وسأقدم هنا بعض امثلة ، اتماما لمحاولتي كشف المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب الذي انتهجه الدكتور صادق جلال العظم :

أ ــ يجري صادق مقارنة بين فكرة طرحها منير شفيق قبل ايلول وطرحتها انا بعد ايلول ، يقول منير : «... ولذلك اقول ان وجود الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة ، ووعيها السياسي الذي استطيع ان اقول انه اعلى وأعمق من اي وعي سياسي كان في المنطقة العربية منذ عقود طويلة من السنين ، ولاء الجماهير لحرب الشعب ، واستعدادها للقتال وعدم رهبتها من مواجهة الامبريالية والقوى المضادة وتمسكها الحازم بقضيتها ، هذا يدل على تغيير ثوري» .

واقول انا : «وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق، وسادت الروح الاستعراضية، وسيطرت عقلية الارتجال وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ، ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الراي الواضح السليم» .

ويواصل صادق مقارناته المجتزأة المعزولة عن زمانها ومكانها، ليؤكد خطأ ما ذهب اليه منير شفيق ، وليثبت فكرة مسبقة في راسه حول «وهم» الثورة الفلسطينية قبل ايلول وبعده .

وتكمن المغالطة في ان صادق استخدم آرائي حول القيادات وممارساتها ، ليرد على منير شفيق الذي كان يتحدث عن الجماهير والوضعية الثورية . ورأيي طبعا لا يختلف هنا عن رأي منير شفيق ، وفي هذه القضية بالذات . ولقد ذكرت ذلك مرارا وتكرارا . وكان من واجب صادق ان يقرأ ما كتبت ليطرح آرائي الحقيقية ، لا ان يحاول اجراء مقارنات مضللة ، كالتي ذكرت . وسأورد هنا بعض آرائي حول موضوع التحول الثوري الذي تحدث

عنه منير شفيق .

لقد اشرت الى هذه القضية قبل ايلول في كتابي «الثـــورة الفلسطينية : أبعادها وقضاياها» قائلا : «استطاعت الثـــورة الفلسطينية ان تحقق خلال السنوات الماضية نجاحـــات كبرى . وأهم هذه النجاحات ثلاثة :

الاول : نقل القضية من ايدي «الاوصياء» الى ايدي الجماهير، بعد ان ظلت في ايدي الاوصياء حوالي عشرين عامـــا ، وبعد ان حولها الاوصياء الى «مزايدات كلامية» ممجوجة .

الثاني : تحويل العمل السياسي من عمل مثقفين ثرثاريـــن وسياسيين محترفين وحزبيين قاصرين الى عمل مسلح . واذا كان شعار الجماهير ان «الكف لا تجابه المخرز» فقـــد كان الجواب : «لنجابه المخرز بالمخرز» . وكان هذا التحول تحولا جذريا ، على الرغم من انه لم يكن تحولا ايديولوجيا جذريا .

الثالث : خلق المناخ الثوري لدى الجماهير التي عانت الكثير من الهزائم حتى كادت ان تفقد الامل . وقد ساعد هذا المنـــاخ الثوري على زعزعة انظمة مغرقة في عمالتها للجماهير ، وعلى كبح جماح القوى المضادة للثورة في بلادنا العربية ...» (ص ٨٤–٨٥).

وكررت ذلك بعد ايلول . اما حديث البيروقراطية والاستزلام والارتزاق فهو حديث آخر . ان القتال الذي خاضته الجماهير في ايلول يؤكد صحة ما ذهب اليه منير شفيق قبل ايلـــول ، كما ان المعارك التي خاضتها عمان والرصيفة والبقعة واربد ، بعد ايلول، تؤكد ما نذهب اليه انا ومنير ، على الرغم من وجود كل ما ذكرته، بعد ايلول .

ب ــ يقارن صادق بين نصين احدهما لي والآخر لمنير. يتحدث منير عن الدفاع والهجوم في المدن واتحدث انا عن الروح الهجومية في الثورة .

يقول منير :

«ان قتال المواقع الثابتة قانون لا مفر منه في الدفاع عن المدن

والجماهير شريطة ان تصحبه هجمات غوارية صغـــيرة في بادىء الامر، بينما يتم مخطط المنظمات الفدائية في مواجهة معركة ايلول، التحول للهجوم الشامل المضاد» (مناقشة حول ص ٣٣) .

واقول انا ان الانحراف اليميني يعني :

أ ــ فقدان الروح الهجومية ، ذلك ان الحركة الثورية حركـة مهاجمة ، حتى وهي في اشد حالات الضعف . وهي اذا فقـدت روحها الهجومية تحولت الى حمَل وديع في ساحـة الصراع . وهنا لا بد ان ينقض عليها الخصوم ويفترسوها» (الثورة الفلسطينية ص ٩٨) .

واوضح هنا ان صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فاندفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيء والروح الهجوميـــة والروح الدفاعية في الثورة شيء آخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : «هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحـــراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد اشرت الى هذه القضية في كتابي نحوُ ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط.

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي أثارها منير. انه يقول : «على كل حال يبدو لي ان العودة الى التأكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم على مستوى البديهيات والامـــور البدائية» (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات، لان ممثلي الاتجاه «اليساري الثوري الجذري» في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخذوا يرددون بعد ايلول ما طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيادات العسكريـــة

النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقع كان من اكبر اخطائنا في ايلول. وكنا نحن، انا ومنير نسمع هذا الطرح بآذاننا ، ونناقشه مع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما اخليت عمان والمدن والمخيمات، وانتقل المقاتلون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات ، والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هذه الآراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكذا يرى القارىء ان التركيز على هذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليها ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد ان يبرر الانسحاب من المدن وتصفية مكاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة . وكان اكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات ، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتا ولكن «المنظّرين» العسكريين وغير العسكريين برروا «عملية السحب» باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول ، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنا التي اعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكّر صادق «الماركسي» بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : «يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم ! لقد عصفوا بالسماء» . ونذكّره ايضا بالاهتمام الكبير

الذي أولاه ماركس وانجلز ولينين وكل الماركسيين لكومونة باريس ومـــا زالوا يولونه . وكان فـــي كومونة باريس حوالـــي اربعمائة الف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العـــام ، وحين هاجمهم جيش تيير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم . وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تيير عددا ، وصمدت في معركة طاحنـــة استمرت شهرا ٢٨-٨ ، ٢٨-٩-١٩٧٠ ، ما عدا المعارك السابقة. وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرى معاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس أخطاء تجربتها وتثمن بطولاتها تركز الاضواء على الاخطـــاء تركيزا «هستيريا» وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

اما كانت بطولات جماهيرنا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . ان الشعوب لا تتعلم من اخطائها فحسب، انها تتعلم من بطولاتها ايضا.

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها «العفوية» لا يرون الا أخطاءها ، لانهم يقدسون «الذات القائـــدة المنظرة» ممثلة بهم وبحزبهم «الخيالي» ونظريتهـــم «الطوباوية» ، ويسمون ذلك كله «ماركسية ـ لينينية» .

- ٢ -

ومن حيث المنهج ايضا ، فان صادق جـلال العظم استمرار للمدرسة نفسها التي فرخت بعد حزيران ، والتي لبست لبوس الماركسية ، محولة الماركسية التي ميتافيزياء عجيبة . واذا كان

الياس مرقص هو استاذها الاول ، فان صادق ليس الا احد تلامذتها الذين استهوتهم استثارة الميتافيزياء الجديدة ، فحملوا رايتها غير هيابين .

وهنا حدث الاشكال : ذلك ان الميتافيزياء هي ليست الماركسية، وهم يحاولون جعل الماركسية ميتافيزياء . الماركسية هي النظرية المادية في المعرفة ، هي المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وهي فوق هذا وذاك بحث ودراسة وتحليل وممارسة . انها معرفة التناقضات لا عن طريق اخضاعها للفكر فقط ، بل عن طريق الاحتكاك بها بالممارسة . وماوتسي تونغ الذي استشهد به صادق كثيرا ، يركز على هذه الناحية كثيرا. ولا بأس هنا من استحضاره. انه يقول :

«ان للمادية الديالكتيكية من الفلسفة الماركسية ابرز ميزتين : اولاهما صفتها الطبقية ، فهي تعلن بصراحة ان المادية الديالكتيكية هي في خدمة البروليتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهي تؤكد تبعية النظرية للممارسة العملية ، حيث ان النظرية تقوم على اساس الممارسة العملية ، ثم تعود لتخدم الممارسة العملية ثانية».

وحين يتساءل ماو : «من اين تنبع الافكار السديدة ؟» يجيب: «انها تنبع من الممارسة الاجتماعية وحدها ، تنبع من ثلاثة انواع من الممارسة الاجتماعية : النضال من اجل الانتاج والصراع الطبقي والتجربة العملية» (الكتاب الاحمر ص ٢١٦) .

والماركسية تنطلق «من الحقائق الموضوعية لا من التعاريف المجردة» وتتوصل «... الى مبادىء مرشدة وسياسات واجراءات عن طريق تحليل تلك الحقائق» (الكتاب الاحمر ص ٢٢٢ — ٢٢٣) ولهذا فالماركسية مجهدة ، وان يكون الانسان ماركسيا معناه ان يجدّ ويعمل ويبحث ويناضل . ولكن الانسان لا يحتاج الى هذا كله ، اذا اراد ان يكون مثاليا . يقول ماوتسي تونغ :

«ان المثالية والميتافيزيقا هي الشيء الوحيد في العالم ، الذي لا يكلف الانسان اي جهد ، لانها تتيح له ان يتشدق كما يشاء دون

ان يستند الى الواقع الموضوعي ، ودون ان يعرض اقواله لاختبارات الواقع . اما المادية والديالكتيك فهي تكلف الانسان جهداً ، اذ انها تحتم عليه ان يستند الى الواقع الموضوعي ، وان يختبر امامه ، فاذا لم يبذل جهدا انزلق الى طريق المثالية والميتافيزيقا» (الكتاب الاحمر ص ٢٢٣ – ٢٢٤) .

ولقد اختارت هذه المدرسة (مدرسة مرقص – العظم) هذه الطريق . ولهذا وقعت في المزالق التي ذكرناها آنفا ، ووقعت اضافة الى ذلك فيما يمكن ان يسمى الاطلاقية . وهذه النظرة من بعض مظاهر المنهج الذاتي . وقد سماها ماوتسي تونغ النظرة الوحيدة الجانب ، وعرفها كما يلي :

«وهي النظرة الميتافيزيقية الى القضايا . فالنظرة الوحيدة الجانب في تقديرنا لاعمالنا هي اما اثبات كل شيء واما نفي كل شيء ... ومعنى اثبات كل شيء هو ان المرء يرى من اعمالنا الجانب الحسن وحده دون الجانب السيء ، ويقبل المدح وحده دون النقد . والقول بأن اعمالنا حسنة من كل ناحية ، فيما يبدو، هو قول لا يطابق الحقيقة ، اذ ليست كل اعمالنا حسنة ، بل ما زالت هنالك نقائص وأخطاء فيها . كما انها ليست سيئة كلها ، لان هذا ايضا يجافي الحقيقة . اذن فالتحليل واجب في هذه الحال . اما نفي كل شيء فهذا يعني ان المرء يعتبر ، دون ان يقوم بأي تحليل ، انه ما من شيء قد انجز بصورة مرضية ، ويخيل اليه ان قضية البناء الاشتراكي العظيمة ، قضية النضال العظيم الذي يسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى وليس فيها ما يستحق التقدير . وبالرغم من ان كثيرا ممن ينظرون هذه النظرة يختلفون عن الذين يضمرون العداء نحو النظام الاشتراكي ، الا ان نظرتهم هذه خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا . لذلك فمن الخطأ تقدير عملنا سواء من وجهة النظر القائلة باثبات كل شيء او القائلة بنفي كل شيء» (الكتاب الاحمر ٢٣٢ – ٢٣٣) .

وهذا ما فعله صادق ، كما فعله الياس مرقص من قبل . وسندرس هذه الاطلاقية ، كما برزت عند صادق من خلال المظاهر التالية :

اولا : يردد صادق ان الانظمة العربية استوعبت حركة المقاومة و«... بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي» . ويضيف صادق : «حتى في هذا الامر الهام جدا والحساس الى اقصى الحدود اصبح الفارق بين الوضع الفعلي للمقاومة من جهة وللانظمة العربية من جهة اخرى معدوما وغير ذي بال» (ص ٢٠) ولقد استوعب «الواقع العربي بكل زيفه وضعفه»... «الثورة الفلسطينية وهضمها ...» (ص ٣٤) . ويضيف في مكان آخر : «... استقر ميزان التأرجح في علاقات فتح بين طرفي التزامها الرسمي والجماهيري الى جانب الانظمة . حتى على صعيد العمل العسكري استقر التأرجح الى جانب الطرف الرسمي والتبعية لمنطق الجيوش النظامية» (ص ١٦٦) .

ويعلق صادق على بيان أصدره كمال ناصر في ٢٥-١١-٧١ حول رياح الحرب الساخنة التي تهب على المنطقة ، بعد خطابات القاها السادات في الجبهة قائلا :

«لا اعتقد انه بامكان انسان ان يعثر على صك رسمي يكرس تبعية فتح والتصاقها بالانظمة العربية وجيوشها بوضوح اكبر مما فعله هذا البيان» (ص ١٦٩) .

وصادق في هذا كله ، لا يخرج عما قاله ماوتسي تونغ في تعريفه للنظرة الاحادية الجانب ، ونظرته «... خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا» . انه هنا يرى «قضية النضال العظيم الذي تسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى ، وليس فيها ما يستحق التقدير» كما يقول ماوتسي تونغ . واذا ما تحدثنا عن وضعنا بلغتنا قلنا ان صادق يرى ان كل

شيء قد انتهى .

هذا ما تعودنا ان نسمعه من مدرسة صادق والياس وغيرهما منذ ما قبل ايلول .

ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟

علينا ان نخضع القضية للتحليل .

واذا ما اخضعناها اكتشفنا ما يلي :

أ ـ هنالك تراجعات فعلا ، بدأت منذ البدء «بتنظيم» الاسلحة وجمعها من ايدي الجماهير في الاردن ، وأدت الى فقدان الاردن كله ، والى تجميد العمليات العسكرية من لبنان . وهذه التراجعات اساسية وخطيرة ، كما بيننا واوضحنا في اكثر من مكان ، واكثر من مناسبة .

ب ـ السبب الاساسي لهذه التراجعات ذاتي الا ان الظروف الموضوعية لعبت دورا في استعجال هذه التراجعات .

ج ـ هنالك قيادات اصبحت تزداد قناعة يوما فيوما بانتهاج طريق البحث عن «الحل المناسب» ومنهم من ينظر لاخلاء المواقع والقاء البنادق والتقوقع في خلايا معزولة تحت شعار العودة الى العمل السري وبناء الحزب الثوري وتبني النظريـــة الثورية ، والتخلص من رذائل البرجوازية الصغيرة ومباذلها .

د ـ وهنالك كوادر وقواعد مصممة على القتال والاستمرار ، يساندها راي عام فلسطيني وعربي وقوى وطنية مع الاستمرار وضد التوقف ، مع القتال وضد الاستسلام .

و ـ وما زال هناك قتال داخل الارض المحتلة ، ومـــا زالت هناك بنادق على الحدود ، وفي المخيمات تدافع عن الثورة ، ولا تقبل الاستسلام . وما زالت هنالك قوى فلسطينية تعمل علـــى احباط الحلول الاستسلامية .

ولذلك فاننا لا نستطيع ان نرفع الراية البيضاء باسم المقاومة، ولا يجوز لنا ان نرفعها . وحين نفعل ذلك كما فعل صادق لا نخدم قضية القتال بل نضرها . وهذا لا يعني ان نخدع الجماهير ، وان

نزين الامور لها ، بل يعني ان نكشف التراجعات وعواملها الحقيقية، وان نحدد حجمها الحقيقي ، وان نعمل بداب ووعي لمحاربة العدو وللتمسك ببنادقنا، ولتثوير الجماهير وتعبئتها، ولاسقاط القيادات العاجزة والمتراجعة . انه عمل واحد موحد . وهذا العمل لا يتم برؤية جزء واحد من الصورة : التراجعات . لا بد من ان نرى الجماهير المستعدة والقوى الكامنة والكوادر المتحفزة والقيادات التي ما زالت تقاتل حتى النفَس الاخير . ومن لا يرى ذلك لا يرى حقائق الواقع ، ولا يعرف ديالكتيك الصراع في المجتمع ، ولا يثق، بالجماهير وبامكانيات النصر .

ومن هنا فاننا لا نقول مع صادق ان المقاومة «سقطت» واستوعبت ، اننا نقول : انها تواجه صعوبات حقيقية وازمات ومخاطر ومع ذلك فمنها قوى ما زالت تعارض وتقاتل ، قدر طاقتها ، وما زالت مختلفة عن الانظمة العربية ، على نقيض ما يؤكده صادق . ونقول ايضا : اذا كانت هنالك قيادات وفئات في المقاومة اصبحت قابلة للسقوط او سقطت ، فهناك داخل المقاومة وداخل جماهير الشعب الفلسطيني مناضلون مصممون على الاستمرار ، وعازمون على مقاومة التبعية والبروقراطية وكل المظاهر السلبية . ايجوز لنا الا نرى هؤلاء ؟ ثم لماذا تشن الامبريالية والصهيونية والرجعية كل هذه الهجمات الشرسة على المقاومة وقياداتها أذا كانت لا تختلف عن «الانظمة» !

ثانيا : يؤكد صادق على ان المقاومة امتداد لحركة التحرر الوطني العربية ، وان استسلام هذه ناتج عن استسلام تلك وعيوب هذه هي عيوب تلك . وما اظن احدا يناقش صادق في ان القيادة الفلسطينية هي احدى قيادات البرجوازية الصغيرة العربية. ولكن هذه القيادة الفلسطينية البرجوازية الصغيرة مختلفة عن زميلاتها العربيات . ولقد حاول صادق ان يحدد تفردها (ص ٢٢) ولكنه لم ينجح . انه لم ير وضعها الخاص . ويتلخص في انها منفية ومشردة ، او محرومة من السلطة في الارض المحتلة والاردن وكل

مكان ، وانها لذلك تقاتل ، أنها تحمل كثيرا من خصائص زميلاتها العربيات ، ولكنها ستبقى متمردة من بين زميلاتها لانها ما زالت بعيدة عن السلطة . ان هذا يعني ان القيادة البرجوازية الصغيرة الفلسطينية لا تختلف عن زميلاتها العربيات من حيث التكوين الايديولوجي ، ولكنها ستختلف عن زميلاتها العربيات فيما يتعلق بقضية الموقف من دولة الاحتلال الصهيوني ، وقضية الحرب و«السلام» . واذا سقطت شرائح منها ، فستبرز شرائح اخرى بسرعة من الجماهير الفلسطينية التي تنمو برجوازيتها الصغيرة بسرعة . ومن لا يرى هذه الحقائق لا يعرف كيف يعالج قضايا الثورة !

وهذا لا يعني ان القيادات الفلسطينية الحالية ستتجاوز القيادات العربية المماثلة في اتجاه ثوري جذري اشتراكي ، لان هذا من مهمة البروليتاريا وحزبها ولان البرجوازية الصغيرة لا تستطيع ان تقود نضالا قوميا ديمقراطيا اكثر جذرية من نضالها خلال السنوات الماضية ، ولكن البرجوازية الفلسطينية الصغيرة ستلعب دورا اكثر جذرية في النضال الوطني مما يتوقع صادق ، انها لم تنته ، ولم ينته دورها بعد وستظل كذلك الى أمد غير قصير . اما دورها القيادي ، فيبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي الجدير بالقيادة ، وان كان دورها في النضال القومي الديمقراطي ، حتى بعد ذلك ، لن يتقلص كثيرا ، وسنبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي، حزب الشغيلة والكادحين ، أسرى قيادة البرجوازية الصغيرة وذبذباتها ومصالحها ومطامحها ، ولن نستطيع ان نسقطها بالجمل الطنانة والنضال اللفظي العنيف . ومن هنا فان المطلوب الان ليس اسقاطها ، ما دامت تقاتل ، ولكن المطلوب بلورة خط ثوري صحيح يضع المشروع العملي لبناء التنظيم الثوري واستنهاض الجماهير وبناء الجبهة الوطنية العريضة ، فلسطينيا وعربيا .

ونحن لا نقول ان هذا يتم عفويا ، كما يزعم صادق (ص ٤٢ و١١١) لاننا حددنا موقفنا من هذه القضية منذ وقت طويل ، وفي

كتابنا الذي استشهد به صادق مرارا : « الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها» (ص ٨١) . ولكننا نضيف ان ذلك يتم من خلال النضال العملي ، لا من خلال قراءة الكتب وتحبير الاقتراحات الثورية ، ومن خلال الجماهير وحركاتها العفوية .

ثالثا : ويحاول صادق ، منذ السطر الاول لكتابه ، ان يقنعنا بأنه : «... ليس من الضروري الاسترسال طويلا في التذكير بالانجازات الايجابية الكبيرة التي حققها الصعود العنيف لحركة المقاومة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧» . ويضيف صادق : «بهذا الصدد ، هناك حقائق اصبحت ثابتة ، ومن المتعذر الشك بها او المكابرة فيها» .

ومما يذكره صادق :

«مثلا التأثير الايجابي الضخم الذي احدثه الكفاح المسلح في اوساط الجماهير الفلسطينية ، والامكانات النوعية الجديدة التي فتحها هذا الاسلوب في النضال امام الحركة الوطنية على الصعيد الجماعي وأمام الكثيرين من العرب على الصعيد الفردي ، لبناء المستقبل العربي على أسس اكثر ثورية وحداثة وضمانة مما جرى في السابق . يضاف الى كل ذلك عملية التجذير القوية (وان كانت افقية) التي احدثها الكفاح المسلح في قطاعات واسعة من الجماهير العربية غير الفلسطينية ، خاصة في الاوساط الشعبية والشبابية والطلابية وفي صفوف الانتلجنسيا» (ص ٩) ، وهو هنا بالطبع يردد ما قاله منير شفيق ، مع انه انتقد منير على ما ذهب اليه .

ويشير صادق الى ان المناضلين : «الاكثر وعيا وتقدما في الحركة» والمثقفين : «الاكثر راديكالية ممن ارتبطوا بها» كان واضحا لهم منذ البداية انها «مثقلة بأعباء الإرث الذي حملته من انماط الحياة العربية الماضية والحاضرة التي جعلت انهيار عام ١٩٦٧ محتما» (٩ ــ ١٠) . ثم يواصل : «لكن من جهة اخرى كان الكفاح المسلح يبشر ايضا بامكانية اتخاذ خطوات جادة باتجاه تحقيق مستقبل افضل حيث تتراجع الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي

(والشرق الاوسط عامة) وتتقدم قضية الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه اشواطا الى الامام ، كما تنكمش البنى الاجتماعية العربية الرجعية والقمعية السائدة امام امتداد البنى الجديدة لصالح التمرد والعمل الثوري واعادة البناء الاجتماعي على أسس اشتراكية واضحة . كان جليا كذلك انه بدون السير على ما يشبه هذه الطريق لن يكون باستطاعة الشعب الفلسطيني العمل بصورة جدية على تحرير ارضه ، كما انه لن يكون باستطاعة باقي الامة العربية التصدي بنجاح لاعداء شرسين مثل القوى الرجعية في الداخل والسطوة العسكرية الاسرائيلية في الخارج وهيمنة المصالح الامبريالية على الوطن عموما» (ص ١٠) . ويكتفي صادق بمدخل عام لا يتعدى الصفحات الثلاث ليكرس مائتين وخمسين صفحة للحديث عن تراجعات المقاومة وسلبياتها . ولا يكرس صادق اي فصل او مقطع من هذا الكتاب الكبير للحديث عن المنجزات والانتصارات . ان ماركس ولينين تحدثا عن الكومونة ، ولم تكن تستوقفهما أخطاؤها فحسب ، بل كانت تستوقفهما نضالات جماهيرها ، ذلك اننا لا نتعلم من الاخطاء فحسب ، بل نتعلم ايضا من البطولات ، من حماسة الجماهير واندفاعها وتضحياتها ؛ ومن البطولات الفردية ايضا .

لماذا لا يقدم الدكتور صادق الوجه الآخر للصورة ؟ لان النزعة الذاتية التي قام عليها منهجه قادته الى هذا المنزلق . لقد أعدم قادة البرجوازية الصغيرة في راسه ، ولذلك فلا بد من اعدام حركتهم كاملة ، بما في ذلك نضالات الجماهير وبطولات الكوادر والعناصر .

وهذا هو ديدن هذه المدرسة منذ ظهورها . انها تعدم دائما كل النضالات الوطنية والديمقراطية و«العفوية» ، لانها ليست من منتجات مصنع «بسكويت» البروليتاريا «الوهمية» !

وهكذا نرى ان المعارك التي خاضتها قوى المقاومة والآثار التي احدثتها لا تستحق منه الا اشارة موجزة جدا في اول كتابه ،

وهامشا يعيدنا فيه الى كتاب الدكتور حسام الخطيب : «التجربة الوطنية الفلسطينية» (ص ٩) .

ان هذا التجاهل لنضالات الجماهير وتضحيات الكوادر والعناصر ، والاستخفاف بالذين يضعون ثقتهم بالجماهير ، والسخرية من الذين يصرون على ان الثورة احدثت تقدما كبيرا بوجود «عشرات الالوف من الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة في المخيمات وفي الضواحي الشعبية بوجود التنظيمات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية وجود ميليشيا شعبية» وان هذه الظواهر «تدل على تغيير جذري في الفكر السياسي لدى الجماهير ، وفي الممارسة الثورية في المنطقة ...» ... ان هذا كله يكشف موقفا ذاتيا بعيدا عن العلم والماركسية ، وبعيدا عن الجماهير ونضالاتها. ان الذين يعرفون الجماهير من الكتب والجرائد طبيعي ألا يقدروا نضالاتها !.. والذين يكتبون عن الثورة جُملا طنانة يعطون للجُمل الطنانة اهتماما اكبر كثيرا من اهتمامهم بالجماهير .

- ٣ -

ولقد قاد صادق موقفه الذاتي الى ان يتخذ موقفا ذاتيا وعدائيا مني ومن منير شفيق . ويهمني في هذا الموقف ما يلي :

اولا : اتهامنا بالتبريرية .

ثانيا : تشويه موقفنا من الاردن .

ونحن في هذين المجالين ، كما في غيرهما ، ليس بيتنا من زجاج ، لانه كان واضحا دائما ، وكنا نود ان لا يتحول الموضوع الى موضوع شخصي ، ولكن الحملات المغرضة منذ سنتين تسير في خط واحد ، يستهدف تشويه مواقفنا الواضحة التي تعرفها قيادات وكوادر وقواعد . ولذلك فسنوضح بعض الحقائق دون ان

نسمح لاحد بأن يجرنا الى الحديث عن اعمالنا ومواقفنا .

أ ـ حين انضممنا الى حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) كنا نعلم اننا ننضم الى حركة تقودها البرجوازية الصغيرة . وكنا نعرف طبيعة الحركة وطبيعة قيادتها ، ولم تخامرنا اية أوهام حول هذه القضية . وكنا نعلم طبيعة البرجوازيـــة الصغيرة عموما ، وطبيعة البرجوازية العربية الصغيرة خصوصا ، والفلسطينية على الاخص . ولم يدر في خلدنا يوما ان النضال الفلسطيني سليـــم ومعافى ، وان البرجوازية الصغيرة ستقوده الى شاطىء السلامة. ولذلك قررنا ان نكون مع الجماهير ، وانتقلنا الى صفوفها ، لنقاتل معها ، ولنتعلم منها ، ولنحرضها على مزيد من النضال ، ونكتسب منها الصبر والصلابة والوضوح . وكان منهجنـــا يقوم على : استخدام معرفتنا لتحليل الواقع ، ثم اختبار هذا التحليل عـــن طريق الممارسة . ولذلك كنا نرفض الافكار «ما فوق الماركسية»، و«ما فوق الحمراء» ، ونرفض ميتافيزياء يساريي الكتب والمقاهي رفضا قاطعا ، كما كنا نرفض ايضا غيبيات البرجوازيين الصغار ومثالياتهم . وهذا ما جعلنا نقف موقفا نقديـــا من البرجوازيين الصغار كلهم : الذين رفعوا راية ميتافيزياء الماركسية والذيـــن رفعوا راية ميتافيزياء الافكار البرجوازية الصغيرة . وكنا نعلم ان هذه وتلك أوهام البرجوازية الصغيرة .

ب ـ كان موقفنا منذ البدء ، وبعد ان استوعبنـــا مبادىء المعرفة العلمية ، يتلخص بالتالي : الممارسة والتعلم من الممارسة ، النضال والنقد ، النقد لخدمة الممارسة ولخدمة خط الجماهير ، كشف الاوهام من خلال الممارسة وزرع الافكار السليمة خـــلال الممارسة . ولذلك كنا نرى ان الاوهام لا يمكـــن ان يسقطها الا مناضلون يملكون الخط السليم ، وان الافكار الصحيحة لا يمكن ان تنمو الا عبر الممارسات الصحيحة ، وعبر جو الجماهير لا فـــي اوساط النخبة .

ولم نكن نعتبر ان هذه مهمة قابلة للتحقق بسرعة . كنا نراها

مهمة طويلة تحتاج الى سنوات من العرق والالم والتأمل والممارسة. وكنا نعلم ان انتصار الخط السليم لن يكون نتاج كتابة «الوصفات الثورية» ، ولا نتاج «الطهر الثوري» و«الاحلام الثورية» بل نتاج التجربة العملية والممارسة العملية ، مع الجماهير ، وعبر كل تعقيدات الواقع والتواءات الحياة الانسانية .

ولهذا لم نخف البرجوازية الصغيرة ، ولا خشينا ان تلوثنا مباذلها ، ولا ان تخدعنا افكارها . لم يكن أمامنا مجال غير العمل معها ، ضمن ظروف الحركة الوطنية العربية خلال العشرين سنة الماضية . وكنا لا نريد ان نصنع لانفسنا قصورا ثورية نقبع فيها، ونطلب توزيع البسكويت على الجماهير المطالبة بالخبز من نوافذها. ولكنا ، وخلال كل حياتنا السياسية منذ أوائل الخمسينات، ونحن نصارع تيارات البرجوازية الصغيرة ، سيان كان ذلك في الاحزاب التي انتمينا اليها ، او خارج اطار هذه الاحزاب .

ومنذ ان نلنا شرف عضوية فتح والثورة الفلسطينية ساهمنا بجهدنا المتواضع في النضال ضد الاعداء وضد الاخطاء ، وكنا دائما نناضل ونحن وسط الجماهير ، ونتخذ مواقف واضحة ، وننتقد من خلال استنباط خط الجماهير . ولما كانت الاطر التنظيمية ليست ضمانة ، كنا نصر على ان ننقل النقد الى الجماهير . وكتابي «الثورة الفلسطينية : أبعادها وقضاياها» حزيران ١٩٧٠ ، مثل كتاب منير شفيق : «التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية» نوع من النقد العلني لكل افكار البرجوازية الصغيرة ، وبكل قياداتها «ماركسية» وغير ماركسية . ثم ان دراساتنا ومقالاتنا وندواتنا وكتبنا كرست لخدمة هذا الغرض . وهنالك ايضا ما كتبناه بلا أسماء ، وفي صحف ومجالات مختلفة، وما طرحناه في جلسات سرية .

ولكنا لم نكن مثل صادق ومدرسته في هذا كله ، نثبت كل شيء او ننفي كل شيء ، كما يقول ماوتسي تونغ ، لان الجدل لا يعلمنا هذا الاسلوب الميتافيزيائي . لقد كنا نحاول ان نرى الصورة

بكل جوانبها ، والالوان بكل اختلافاتها ، ولم نكن نريح أنفسنا وراء شعارات وكليشهات وأفكار طوباوية . هذا كان منهجنا وما زال. ولا يعني هذا اننا لم نخطىء . فقد أخطأنا ، ولا نخاف مناقشة أخطائنا امام الناس ، لاننا واثقون من صحة منهجنا . ولكنا لم نخطىء مرة واحدة بالوقوف ضد خط الجماهير ، ولا وقفنا مرة واحدة في الابراج العاجية نتهكم على المقاتلين والشهداء ، ونسخر من عفوية الجماهير . وكل خطأ ارتكبناه كان نتيجة عدم معرفة خط الجماهير ، وعدم التعلم منها بتواضع اكثر .

ج ــ وكان موقفنا ، فيما يتعلق بالاردن واضحا منذ البدء . لقد عشنا مع الجماهير في الاردن ، وعرفنا كل أشكال القمع والبطش والتنكيل . وتربينا وسط شعور جماهيرنا بخيانة النظام العميل في عمان ، وعشنا منذ ١٩٤٩ تآمره وخيانته . ولم نكن من المنظرين الذين عاشوا بعيدين عن الاردن وجماهيره . وكنا فوق هذا نعي الدور الرجعي العميل الذي يلعبه النظام الاردني ضد الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصا وحركة التحرر الوطني العربية عموما . ولذلك كان موقفنا واضحا كل الوضوح ، داخل فتح ، ومع المنظمات الاخرى ، وأمام الجماهير . وسوف لا نطرح هنا المعلومات التي يعرفها صادق وقيادات المنظمات بما فيها الجبهة الشعبية والديمقراطية ، وان كان قد عمل على التشكيك بموقفنا (الصفحات٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ــ ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠) . سوف نترك الممارسة جانبا ، لان صادقا يحتقر الممارسة ، ولأن الحديث عن الممارسة الشخصية ، حتى في مثل هذه الحالة ، يبدو دعاية للنفس ودفاعا عنها . وسوف نناقش النصوص لنرى مدى احترامه «الاكاديمي» لها ومدى أمانته العلمية في فهمها ومناقشتها .

د ــ يقول صادق ، في هذا الصدد ، بأنني رفضت « قبل هزيمة ايلول بأشهر قليلة» ... ان أتطرق «... ولو بصفحة واحدة الى موضوع السلطة العميلة ومسألة الاطاحة بها» في كتابي

عن «ابعاد الثورة الفلسطينية وقضاياها» (ص ١٤٧) .

ومع انني كنت اقوم بدوري ، بصدد هذه القضية في كل مجال ، فانني ايضا لم اهملها في الكتاب المذكور الذي قراه صادق على ما يبدو من كثرة الاستشهادات به .

ان الفصل الخاص بـ « العلاقات مع الجماهير العربية » (ص ١٢٠ ــ ١٢٨) كان واضحا في هذا المجال . ولقد اكدت في هذا الفصل على الحقائق التالية :

أ ــ ان هناك مرحلة جديدة ، وان هذه المرحلة تقتضي عدم **قبول «السياسات العربية»** . وتقتضي المرحلة الجديدة ايضا التركيز على حقيقتين الاولى منهما : «ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين ، والاردن وسوريا ولبنان بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع ان تحرك الداخل وتمده بأسباب الحركة ؛ ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع» (ص ١٢١) .

ثم تضيف الصفحة التالية :

«وان ما يزيد من اهمية هذا كله هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بأن الايام المقبلة تحمل لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ... ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهنالك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ، ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة » (ص ١٢٢ ــ ١٢٣) .

لقد رفض صادق ان يقرأ هذه الفقرات ، مع انه استشهد بفقرات اخرى من نفس الصفحات كما بينا .

سأقدم لصادق دليلا آخر . لقد ارسلت مقالا لدراسات عربية

قبل ايلول ، وكان صادق رئيس تحريرها . وجاء في هذا المقال ما يلي :

«ولهذا نرى تحركات مشبوهة في الاردن ولبنان مثلا» . وبعد ان نوضح هذه التحركات نقول :

«ان مثل هذه التحركات تطرح علينا بوضوح قضية الصدامات التي ستحصل قريبا ، والتي ستفرضها الاوساط العميلة على الثورة ...» (دراسات عربية ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٨٥) .

ب ـ وطرحت هذه القضية ، بعد ايلول مباشرة ، وقبل ان تحصل التراجعات طرحا واضحا ، راح صادق يسخر منه على اساس انه جاء بعد خراب البصرة ، ولكن البصرة لم تكن قد خربت بعد ، وكان ما طرحته بعد ايلول علنا هو استمرار لما كنت اطرحه قبل ايلول .

ج ـ ونود ان نقول كلمة اخيرة في هذا المجال هي اننا لم نكتف خلال السنوات الماضية ، وفيما يتعلق بالاردن او غيره ، باطلاق الشعارات وكتابة «المقالات» «ما فوق الماركسية» ، بل كتبنا وماركسنا ، ولم نفصل النظرية عن الممارسة ، ولا الكلمة عن البندقية . واذا كنا لم نستطع ان نسقط نظام الحكم الاردني ، فليس لاننا اعتبرنا التناقض مع النظام الاردني تناقضا ثانويا ، ولا لاننا لم نعمل لاسقاطه ، بل لان اصحاب نظرية التعايش من جهة واصحاب الشعارات الجوفاء من جهة ثانية ، لم يتبنوا خطنا الصحيح : خط التعبئة الجماهيرية ، التنظيم ، التسليح ، الاعداد ، ولكن مع الشعارات التي توحد اوسع الجماهير ، والتي لا تفرض معارك في غير أوانها ، ومع خوض النضالات والمعارك حتى النهاية ، لا مع اثارة الزوابع والتردد والتراجع في الازمات .

- ٤ -

لا نعتقد ان منهجا مثل هذا المنهج يمكن ان يقود الى تجاوز الوضع الراهن للمقاومة . واذا كان كتاب صادق يحاول تركيز الاضواء على كثير من الاخطاء والانحرافات فانه :

اولا : لا يأتي بجديد في هذا المجال . والدليل انه لم يقدم فكرة الا قدم عدة استشهادات حولها .

ثانيا : لا يتجاوز منهج مدرسته فيما قبل ايلول ، وبالتاني لا يقدم تحليلا متماسكا ينفذ الى صميم المشكلة .

ثالثا : لا يقدم رؤية واضحة تساعد على اكتشاف طريق الحل، غير رقبتيه : النظرية والحزب وهما ليسا حلا ، وليسا حلا جديدا على كل حال .

ولكن الاهم من هذا كله ان صادقا يعلن حكم تصفية او تفليسة بحق المقاومة ، ممثلة بفتح لصلحة «الحزب» و«النظرية» والانحياز الى معسكر الاشتراكية . ولما كان الحزب غائبا ، والنظرية غائبة ، لانهما يظلان غائبين ، حتى يتجسدا في الواقع ، فان حكم التصفية يصدر لصلحة مجهول ، او شخصية وهمية . ان صادقا يراهن على الوهم ، والمراهنة على الوهم ليست من الثورية في شيء . ولما كان صادق يتوجه الى الوهم ، بدلا من ان يتوجه الى الجماهير والى الكوادر والقواعد المتألمة المتعطشة الباحثة عن الحل الثوري ، فاننا نقول له : اننا نتوجه الى هذه الجماهير والكوادر والقواعد دائما ، ولا نتوجه الى «القيادات الساقطة» ، لان ثقتنا مستمدة من هذه الجماهير اولا واخيرا ، ولان أثافينا الثلاث هي الجماهير ، الوعي الثوري والممارسة الثورية ، التنظيم الثوري .

بين تقديس العلنية وتقديس السرية

شهد الوطن العربي صراعا خلال السنوات التي تلت النكبة ، بين ارادة القتال لدى جماهير الشعب الفلسطيني والجماهير العربية عموما ، وبين الواقع الاستسلامي . ولقد عمل الواقع الاستسلامي: الانظمة العربية ، الاحتلال الصهيوني ، السيطرة الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة على ان يبقي المنطقة خامدة هامدة ، فلجأ الى قمع ارادة القتال لدى الجماهير الفلسطينية والعربية والحيلولة بين هذه الارادة وبين ان تتطور وأن تتبلور .

وظلت قوى الاستسلام القمعية تلاحق مظاهر التطور والتبلور هذه ، اينما وجدت وكيفما ظهرت . وكانت تعمل في هذا الميدان باتجاهين :

الاول : منع نمو الحركة الوطنية الجماهيرية ، بضرب القوى الوطنية والتحركات الشعبية قبل ان تصبح قادرة على حماية نفسها ومتابعة تطورها .

الثاني : سحق اية ظاهرة ، تشكل خطرا على الواقع الاستسلامي .

ومن هذا المنطلق دفعت قوى الاستسلام المضادة للثورة ، الى

تجريد الجماهير الفلسطينية من اسلحتها ، والى انهاء منظمة الجهاد المقدس بالسحق سنة ١٩٤٩ ، وذلك لضمان سيطرة الواقع الاستسلامي .

كانت دولة الاحتلال الصهيوني قد قامت ، وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية ضعيفة امام العدو الصهيوني المسنود من الامبريالية العالمية ، وأمام قوى الانظمة العربية المتآمرة آنذاك . ولكن هذه القوى الفلسطينية الضعيفة كانت ما زالت تهدد الواقع الاستسلامي الذي تريد القوى المضادة للثورة فرضه في المنطقة.

وظلت قوى الاستسلام تعمل جاهدة لمنع الشعب الفلسطيني من ان يبني تنظيماته ، سرية كانت او علنية ، حتى استطاع الشعب الفلسطيني ان يفرض ارادته ابتداء من اول عام ١٩٦٥ وبعد هزيمة حزيران بشكل خاص وان يخلق قواه المسلحة ، بفضل نضاله وتضحياته ، وبفضل تأييد الجماهير العربية . ولقد قدم في سبيل ذلك ، وما زال يقدم التضحيات الكبيرة الكثيرة .

وكما فعلت قوى الاستسلام مع الجماهير الفلسطينية ، فعلت مع الجماهير العربية . ظلت القوى الوطنية العربية ملاحقة ومطاردة ، وظلت تقاتل وتناضل وتقدم التضحيات من اجل تطوير نفسها وبلورة ذاتها .

وكانت قوى الاستسلام توجه الضربة تلو الضربة لهذه القوى، وتستخدم الاساليب المختلفة حتى تضمن لنفسها انتصارا على قوى الثورة العربية .

وكانت دولة الاحتلال الصهيوني تقوم بدورها كلما اقتضى الامر ذلك . ولعل معركة ٥٦ ومعركة ٦٧ ، وما تلا معركة ١٩٦٧ من معارك افضل برهان على ما نقول .

ولقد استطاع الشعب الفلسطيني ، حتى الان ، ان يصد هجمات قوى الاستسلام ، المضادة للثورة ، وان يحبط الكثير من هجماتها ، وأن يؤكد وجوده المسلح ، وارادته المقاتلة . لقد صمد الشعب الفلسطيني امام قوى الاستسلام المختلفة : امام دولة

الاحتلال الصهيوني بطيرانها المتفوق وقواها العسكرية الضارية ، وامام قوى الاستسلام العربية التي تقاتل بالمدفع ، والتي تحاصر بالمؤامرة ، والتي تناور بالخديعة والمكر .

واذا كان الشعب الفلسطيني قد خسر معارك كبيرة مثل معركة الاردن ، وقدم تضحيات كبيرة في الاردن ولبنان والارض المحتلة، فانه ما زال موجودا ، قادرا على ان يعلن رفضه ، وقادرا في الوقت ذاته على ان يدافع عن ارادته المقاتلة ببنادقه ومنظماته .

كيف ؟

من خلال منظماته القائمة ، من خلال تنظيماته الجماهيرية ، ومن خلال مخيماته وميليشياه وقواته المرابطة على الحدود ، حتى وهي محاصرة بالاتفاقيات المكتوبة والشفوية ، ومن خلال ارادته المتطورة المبلورة ، الفارضة شرعيتها على كل القوى سيان كانت وطنية او استسلامية .

ولهذا لم يكن غريبا ان تحاول قوى الاستسلام انهاء هذا الوجود الثوري كله . القوى الصهيونية تستهدف دائما تدميره وسحقه ، وقوى الاستسلام العربية تستهدف محاصرته وتدميره وسحقه ولعل ما فعله النظام الاردني قبل ايلول ، وخلال ايلول وبعد ايلول ، احسن شاهد على ما نقول .

واليوم يصبح هذا الوجود العلني محط الانظار وهدف الاعداء الكثار . لماذا ؟

لان علنيته تعزز شرعيته. وشرعيته تعطيه قوة معنوية ومادية. وبموجب هذه الشرعية يستطيع الفلسطيني ان ينتظم، وأن يتدرب، وان يتسلح ، وأن يعمل ، وأن يتنقل . وبموجب هذه الشرعية التي اوجدت نفسها بالقوة ، وتحمي نفسها بالسلاح ، تقف قوى القمع مكتوفة ، فاذا ما تحركت جابهت قوة امامها ، ان لم تستطع ان توقفها استطاعت ان تؤذيها .

وليس غريبا ، بعد هذا ، ان يصبح راس الشرعية مطلوبا . لانها شوكة في حلق قوى الاستسلام ، ولانها مرحلة متقدمة من

مراحل تعبئة شعبنا على طريق نضاله الطويل من اجل التحرير والعودة .

وما دام الامر كذلك فلتتجه النيران الى الشرعية .

وهذا ما يحصل الان . وهو يحصل ضمن الاتجاهات التالية:

اولا : اتجاه محاصرة قوى الثورة الفلسطينية وسحقها ، عن طريق المؤامرات والمناورات وعمليات القمع والسحق .

ثانيا : اتجاه اقناع الشعب الفلسطيني والجماهير العربية بأن الوجود العلني عبء على الشعب الفلسطيني والامة العربية ، وان هذا الوجود العلني ، وجود باهظ التكاليف لا يمكن تأمين حمايته من دولة الاحتلال ، ولا يمكن الدفاع عنه امام ضربات القوى الاستسلامية ، ولذلك لماذا لا يجري التخلي عنه ، وممارسة العمل السري مكانه ؟

ثالثا : اتجاه تقديس العمل السري ، وإحاطته بهالات **البطولة والسحر والاعجاز** . والصاق كل التهم والمساوىء بالعمل المسمى علنيا .

واذا كان اتجاه المحاصرة والسحق خطرا ، فان خطره خطر خارجي، وهو يثير في شعبنا مزيدا من النقمة والسخط ، ويدفعه الى النضال من اجل حماية ثورته وقضيته . ولكن الاتجاهين الآخرين اكثر خطرا ، لانهما يحاولان ان يضللا شعبنا ، وأن يقنعاه بالتنازل عن انتصاراته وانجازاته لمصلحة الاستسلام ، وهو يحس بأنه يقدم على خطوة ثورية .

ان الذين يطالبوننا بالتخلي عما يسمونه «الوجود العلني» ، انهم يطالبوننا ان نحل منظماتنا ، أن نودع منظماتنا الجماهيرية ، وأن نسلم بنادقنا ، وأن نفتح مخيماتنا ومواقعنا للدرك والشرطة والجيش وكل أشكال الاستخبارات ، من اجل ان نناضل نضالا «سريا» . فالنضال السري هو النضال الناجع ، ولا نضال سواه. وهو الذي يجعل أبطالنا أسطوريين ويمنع الاحتكاك مع الانظمة ، ويحرم دولة الاحتلال من فرص الاغارة على مخيماتنا وعلى القوى

العربية . وهو الذي يجعلنا نغير ولا يغار علينـــا ، نضرب ولا نضرب ، نقوم بالضربات الموجعة ولا يمسنا احد .

ولكن اذا تنازلنا عن «وجودنا العلني» فمن يقول بأن نضالنا السري سيكون ميسورا . ان تجربـــة الاردن اكدت ان سقـوط مواقعنا جعل امكانيات النضال السري محدودة ، وأثر تأثيرا كبيرا على نضالنا في الارض المحتلة . ولا يجوز ان ننسى هذه التجربة ابدا . قيل لنا لماذا لا نترك المدن والمخيمات ونقاتل النظام قتـال أشباح . وهجرنا المدن والمخيمات ولكنا لم نقاتل قتال أشباح . لماذا لان النظام سيطر سيطرة كاملة وأخذ في عمليات الملاحقـــة والمطاردة والسحق ، وأوجد حالة غير مؤاتية للنضال . ألم يكن اكثر مؤاتاة لنضالنا ان نشن الحرب التي نريد ، سيان كانت حرب أشباح ام حرب ارواح ، وسيان كانت حرب مواقع ام حرب غوار، ونحن نملك قوانا ومواقعنا . ومن قال ان وجود مناطق محـررة وشبه محررة ، ووجود قوات كبيرة ومتطورة يمنع القيادات من ان تشن كل اشكال القتال ، العلنية والسرية ، النظامية والشعبية ؟ من قال ذلك ؟

ان الانتقال من العمل السري الى العمل العلني صعب جدا ، ويحتاج الى تضحيات كثيرة وعمل كبير . ويشكل هذا الانتقـال انتصارا للقوى المقاتلة ، ويقدم لها ظروفا اكثر مؤاتاة . وتشكل العودة الى العمل السري من العمل العلني تراجعا ونكسة . وليس سهلا ممارسة العمل السري ، بعد بلوغ مرحلة العلنية . لان القوى المضادة تلجأ الى سياسة قمع دموية والى اجـــراءات حاسمة لا حدود لها .

وهنالك حقيقة يجب ان تكون واضحة دائما . ان الوجـود العلني لا يلغي ضرورة العمل السري ، ولا يسد الطريق عليه . بل ان وجود القواعد والمناطق المحررة ، او شبه المحررة يزود العمل الثوري عموما ، والسري خاصة ، بامكانيات لا تحد .

ولهذا يجب ان نحافظ على وجودنا العلني من اجل :

اولا : حماية تنظيماتنا وبنادقنا ، ومنظماتنا الجماهيريـــة وانتصارات ثورتنا ومنجزاتها .

ثانيا : حماية ارادة جماهيرنا من ان تكبت في ظل بساطير الجنود وفي ظل كوابيس القمع المخيفة .

ثالثا : منع قوى الاستسلام من ان تبرز في ظل القمع قيادات خانعة مستسلمة .

رابعا : حماية امكانيات عملنا المتوافرة ، التي تزود عملنـــا العلني والسري بالقدرة على الاستمرار ، وتنيح له امكانيات البقاء والتطور وتحميه من الملاحقة والمطاردة .

ان القادرين على قيادة نضال سري ، في ظل الارهاب والقمع والسيادة الكاملة لقوانين الاستسلام وأنظمته يجب ان يكونوا اكثر قدرة على النضال السري في ظل الظروف المؤاتية التي تزودهم بكل امكانيات النضال . فاذا ما توافرت مثل هذه الظروف وجب المحافظة عليها من اجل الاستفادة من كل امكانياتها فـي النضال السري .

ان الشعب الفلسطيني مطالب بأن يناضل نضالا بطوليا للدفاع عن مواقعه ، وعن انتصاراته ومكتسباته . ولا يجوز ان يسقـط موقع الا بعد نضال شرس ودفـــاع مستميت . وعلى الشعب الفلسطيني ان يتعلم انه ليس مطالبا بالدفاع عن البنادق التي يملكها فقط ، بل عليه ان يزيد عدد هذه البنادق . وانه ليس مطالبا بأن يحمي قواته الموجودة ، بل عليه ان يطورها كيفا وكما . عليـه ان يرفع مستوى كفايتها القتالية ، وعليه ان يزيد عددها باستمرار . وعلى الشعب الفلسطيني ان يوسع تنظيماته ومنظماته الجماهيرية، وان يزيدها فعالية وتماسكا ، لانه بهذه القوات ، وبهذه التنظيمات والمنظمات يملك ضمانة استمرار الثورة ، وضمان عدم ضيـــاع حقوقه .

ولذلك فان استراتيجيته يجب ان تقوم الان على ما يلي :

اولا : خلق التنظيم الطليعي المقاتل ، القادر على تحمـــل

مسؤولية استمرار معركة التحرير ، وتطوير القوات المقاتلة والميليشيا المسلحة ، لتظل قادرة على الاضطلاع بحماية الثورة وتصعيدها .

ثانيا : تعبئة جماهير الشعب الفلسطيني تعبئة ثورية تجعله قادرا على تصعيد القتال في الارض المحتلة وعلى الحدود وفي الاردن ، وقادرا على اسقاط كل مناورات التصفية ومؤامراتها .

ثالثا : النضال مع القوى الوطنية العربية ، بما في ذلك قواعد الجيوش العربية ، والقيادات الوطنية فيها من اجل اشراك الجماهير العربية في القتال وزيادة هذه المشاركة يوميا ، ومن اجل احباط الحلول الاستسلامية والتصفوية وافشال مناورات ضرب الثورة الفلسطينية والمؤامرات على حركة التحرر الوطني العربية .

رابعا : المحافظة على استقلالية الثورة الفلسطينية ومقاومة كل محاولات الوصاية والاحتواء تحت اي اسم وبأي شكل .

ان طريق النضال طويل ، وهو يحتاج الى كل أشكال العمل الثوري ، السرية والعلنية ، السياسية والمسلحة ، الشرعية وغير الشرعية ، ولكن حرب الشعب ، حرب الجماهير هي الاساس في هذه المعركة . وحرب الشعب تعني استخدام كل امكانيات الشعب وكل طاقاته : النظامية وغير النظامية ، السياسية والعسكرية ، الاقتصادية والمعنوية من اجل تحقيق الهدف الكبير ، كما انها تعني استخدام كل الاساليب النضالية : حرب المواقع ، حرب الغوار ، المظاهرة ، الاضراب ، الاعتصام ، العريضة ، وكل الاساليب التنظيمية من التنظيم الحديدي الى الجمعية الخيرية .

والاكتفاء بشكل واحد من أشكال النضال ، او شكل واحد من أشكال التنظيم ، ليس الا عودة الى الوراء ، من جهة ، وليس الا ضيق أفق ، واضاعة للطاقات الجماهيرية ولامكانيات الثورة المتوافرة .

وعلينا الا ننسى ان حرب الشعب هي الاساس ، وان التحرير الكامل هو الهدف ، وان التنظيم الطليعي والمنظمات الجماهيرية هي

الاداة ، وان الجماهير الفلسطينية والعربية هي القوة الهائلة القادرة على تحمل اعباء هذه المعركة .

وحيث تكون هذه الجماهير يجب ان نكون ، في المخيمات وفي المدن وفي القرى . وعلينا ان نعي ان معركتنا لتحرير فلسطين ليست منعزلة عن معركة هذه الجماهير ، وان خروجنا من وسط هذه الجماهير سيقودنا الى موتنا . ان الشجر والحجر لا يحمياننا، ان جماهيرنا هي مصدر قوتنا وحمايتنا .

الغابات البشرية لا الغابات الشجرية هي الاساس

ان حرب الشعب هي حرب الجماهير ، الجماهير قلبها وأداتها وعقلها وإرادتها التي لا تقهر . من الجماهير مادتهـــا وابداعها ، وبالجماهير قوتها وحمايتها . ولذلك فان هذه الحرب تكون حيث تكون الجماهير ، ولا يمكن ان تكون حيث لا توجد الجماهير .

لهذا فان الجماهير هي الغابات الحقيقية ، وحـــرب الشعب تحتاج الى الغابات البشرية اكثر مما تحتاج الى الغابات الشجرية.

لمـاذا ؟

لان حرب الشعب هي قتال بالانسان ، بوعيـــه ، بتنظيمه ، بقدرته على الاحتمال ، بطاقاته على مواجهة كل انواع القمـــع والتنكيل ، وليس قتالا بالشجر او بالحجر . ويستطيع العـــدو اليوم ، بما يملك من وسائل حديثة ان يصل اي مكان في الغابة، وأن يغير على اي جزء منها . كما انه يستطيع حرقها او محاصرتها. اما الغابات البشرية فلا يمكن محاصرتها او حرقها ، ولا يستطيع العدو السيطرة عليها عندما تكون فيها ارادة القتال .

يقول هوشي منه :

«عليكم ان تتذكروا باستمرار ما يلي :

١ ــ ان العدو لن يتمكن مطلقا من سحق وطنيتنا والقضاء على تصميمنا البطولي ، حتى لو استطاع نهب املاكنا كلها وايقـــاع العذاب على اجسادنا .

٢ ــ من المؤكد ان العدو لا يمتلك العدد الكافي من الرجال حتى يحرس كل الشوارع والقرى والبيوت . لذلك يجب علينا ان نجد الوسائل التي تتيح لنا مساعدة الانصار في كفاحهم من اجـــل اجتثاث الخونة والاعداء من ارضنا» .

الجماهير اذن هي الاساس في حرب الشعب . اما العوامل الاخرى فعوامل مساعدة او معيقة . وعندما تهيأ الجماهير ، فانها قادرة على ان تهزم اكبر القوى وأعتاها . وليس الانتصار الفيتنامي الا دليلا قاطعا ساطعا على ذلك .

ان التأكيد على هذه الحقيقة ضروري ، لانه يضع حدا فاصلا بين مفهومين :

الاول : يعتبر ان حرب الشعب هي حرب الجماهير ، حرب الوعي والتنظيم .

الثاني : يعتبر ان حرب الشعب هي حرب الغابات اللفـــاء والجبال الوعرة .

ويحاول المفهوم الثاني ان يطعن في امكانات قيام حرب شعب في بلادنا ، لانها بلا غابات واسعة ولا جبال وعرة . ولقـــد كتبت المقالات العصماء في ذلك ، وحاول دعاة هذه «النظرية» الفاقدة النظر ان يضللوا جماهيرنا ، بأسانيد اصطنعوها وتراكيب لفقوها.

وكانت مشكلة هؤلاء الدعاة انهم لا يثقون بالانسان ولا بالجماهير، وهم في الوقت ذاته يخافون الحرب ولا يريدونها ، ولذلك حاولوا ان يبرروا الهروب من الحرب بفقدان الغابات اللفاء والجبـــال الوعرة .

ولقد كانوا في ذلك يتجاهلون موضوعتين اساسيتين :

الاولى : ان منظري حرب الشعب الكبار : ماركس ، انجلز ، لينين ، ماوتسي تونغ ــ هوشي منه ، جياب ، الخ لم يطرحـــوا

القضية على انها قضية غابات شجرية ، بل طرحوها على انهـــا غابات بشرية .

الثانية : ان التجارب العملية اثبتت هذه الحقيقـــــة ايضا . وسنضرب على ذلك امثلة ، وهذه الامثلة هي :

أ ــ ان حرب التحرير الصينية ، لم تكن حرب غابات شجرية. لان الصين بلاد واسعة ، فيهـــا السهول والجبال والسهـــوب والصحارى والغابات والارض العراء . ولقد تغلب الطابع الريفي على الثورة الصينية ، لا لان الريف غابات وأشجار وجبال وعرة، بل لان اغلبية الجماهير الصينية المسحوقة موجودة في الريف ، ولأن البروليتاريا في المدن كانت ضعيفة ، وسيطرة العدو علـــى المدينة اقوى منها على الريف .

اي ان الاتجاه نحو الريف لم يكن اتجاها نحو الجبال والاشجار والوديان ، بل اتجاه نحو الانسان ، نحو الغابات البشرية .

وكان العمل الثوري في الريف طريقا الى المدينة . لقد عجزت الثورة الصينية عن ان تبدأ عملها من المدن لظروف محددة ، فبدأته من الريف ليكون ذلك طريقا نحو المدينة ، ونحو السلطة .

ب ــ وكان الوضع في روسيا القيصرية مختلفا . لقد كانت البروليتاريا بقيادة حزبها ، حزب لينين ، محركة الثورة . ولذلك حين حصل التحرك ما بين شباط واكتوبر سنة ١٩١٧ كان تحركا عاما في المدن والريف ، ولكن القواعد المدنية كانت تلعب الـــدور الاساسي . واستطاعت جماهير المدن بقيادة الطبقـــة العاملة ان تصمد لغارات القوى المضادة ، وان تقود الثورة حتى النصر .

ج ــ اما في فيتنام ، فقد كان الوضع مختلفا ايضا . ركزت الثورة على العمل في الريف والمدينة ، وعلى تعبئة الجماهير تعبئة عامة . واستطاعت ان تحرر مناطق كاملة ، وأن تنشىء لها قواعد سياسية وعسكرية داخل المدن الكبرى التي يسيطر عليها العدو.

وحين حرقت الغابات والبيوت ظل الانسان يقاتل .

والجدير بالذكر ان المنظرين الفيتناميين لحـــرب الشعب لا

يتحدثون عن الغابات مع ان ٤٣٪ بالمئة من اراضي فيتنام مغطى بالغابات . ان المنظرين الفيتناميين يتحدثون دائما عن الانسان والوعي والتنظيم والجماهير .

د ــ وهنالك مثل آخر اكثر دلالة . انه غزة . ان غزة مدينة صغيرة ، ليس فيها غابات ولا جبال . ولقد استطاعت على الرغم من هذا ان تصبح مدينة شبه محررة مدة ثلاث سنوات . ولكن غزة التي لم تكن فيها غابات ولا جبال كان فيها جماهير ، وكانت فيها ارادة قتال .

هـ ــ وهنالك مثل آخر من الثورة الفلسطينية ، انه تجربة احراش جرش وعجلون . وهناك قامت بعزلها عن المدن والقرى ، ثم هاجمتها وضربتها .

ان عزل المغاورين والمقاتلين عن الجماهير احد اعمدة استراتيجية حرب العصابات المضادة . واذا كانت استراتيجية حرب الشعب تقوم على القتال بالشعب ، فان استراتيجية الحرب المضادة تقوم على عزل المقاتلين عن الشعب .

وهكذا نرى ان ربط القتال وإرادة القتال بالغابات والجبال يقود الى الاستسلام حتما . لماذا ؟ لان الغابات والجبال لا تقاتل .

ووطننا العربي كبير وواسع . فيه الجبال والغابات والانهار والصحارى والسهوب والسهول والتلال الرملية الجرداء . وهذه التضاريس مؤاتية جدا لحرب الشعب ، لان جماهيرنا موجودة في كل مكان ولأن العدو لا يستطيع ان يكون موجودا في كل مكان . وتقدم هذه التضاريس المتنوعة ميزات لمصلحة حرب الشعب ، وليست لمصلحة العدو على اية حال .

ثم هنالك المدن والقصبات التي تغطي هذا الوطن والتي كانت قلاعا ضد الغزاة ، ولعبت دورا هاما في تاريخنا .

وعلينا ان نستفيد من هذا التنوع استفادة قصوى : المدن الكبيرة ، المدن الصغيرة ، السهول الصغيرة ، السهول الواسعة ، الجبال والتلال ، الغابات والاراضي المشجرة ، الاراضي البور

والاراضي الصحراوية . ولكن الاساس في هذا كله ليس الا الانسان وإرادة القتال ، الجماهير والوعي والتنظيم .

وتلعب المدن في بلاد كبلادنا دورا هاما ، لانها تجمعات بشرية أولا . وهي كتجمعات بشرية تقوم عادة في اماكن استراتيجية .

وبما ان الوطن العربي واسع المساحات ، كثير الاراضي البور والصحارى فان دور المدن يزداد .

ثم ان اتساع الريف وقلة سكانه في كثير من المناطق : العراق، سورية ، السودان ، يجعل المدن ذات أهمية خاصة .

هذا بالاضافة الى ان المدن تضم قاعدة جماهيرية واسعة من العمال والفئات الشعبية المسحوقة ، ومن البرجوازية الصغيرة والمثقفين الوطنيين .

وتلعب المخيمات ، بالنسبة للثورة الفلسطينية ، دورا بارزا لانها تجمعات سكان محددة المعالم ، اصحابها من الفئات المشردة التي ما زالت تعيش تشردها ، والتي تعاني من وضعها المعيشي والسياسي . كما ان المخيمات تجمعات تحمل معها هويتها . ولذلك فمن السهل تحويلها الى بؤر ثورية ثم الى مراكز مقاومة . وهي وقد تحولت الان لا بد من تزويدها بامكانات القتال والدفاع عن النفس لتظل مناطق محررة ، ولتصبح مؤخرات منيعة للجبهة الواسعة ونقاط ارتكاز للنضال وللمناضلين .

ان الجنرال جياب يولي في آخر كتاب من كتبه قضية المؤخرة اهتماما زائدا . وهو يقول بأن تجربة فيتنام قد اثبتت اهمية وجود المؤخرة للبلد كله ، «وكذلك لتوفر المنعات والآخرات الموضعية لكل واحدة من الجبهات وكل واحد من الارجاء» . ويؤكد الجنرال جياب ان هذه السياسة «... تستجيب لابعاد بلدنا غير الكبيرة ولطريقتنا في خوض الحرب الشعبية والتي مفادها التشبث بالمكان ومهاجمة العدو في كل مكان ، وعدم الانقلاع من الارض ولو شبرا واحدا» (حرب التحرر الوطني في فيتنام ، ص ٧٨) .

واذا كان هذا صحيحا بالنسبة لفيتنام فانه اكثر صحة بالنسبة

لفلسطين خاصة . ان انشاء القواعد الثورية القوية الصلبة مهمة اساسية ، والمحافظة على هذه القواعد من اكثر المهمات الحاحا . كما ان التمسك بالارض وعدم الانقلاع منها ، خاصة في هـــذه المرحلة الحرجة ، من اكثر المهمات الاستراتيجية خطورة . ذلك ان استراتيجية الثورة المضادة بالنسبة للشعب الفلسطيني تقـوم على اساس انتزاع الارض التي تقف عليها قواتنا ومقاتلونا . ولقد قامت عمليات القوى المضادة في الاردن على هذا الاساس . وعندما استطاعت القوى المضادة ان تنزع المقاتلين من بين جماهيرهـــم انتزعت الارض من تحت ارجلهم .

وتحاول القوى المضادة الان ان تنزع المقاتل الفلسطيني مـن مواقعه ومن بين جماهيره . وذلك من اجل القضاء عليه .

ثم ان هنالك اشكالا من القتال . فللغابة اسلوب وللمدينـة اسلوب وللسهول اساليب وللجبال اساليب . وعلينا ان نتقن هذه الاساليب جميعا لانها من اساليب حرب الشعب . ولان حـــرب الشعب تفقد معناها بدونها . اما الذين يحاولـــون ان يبرروا الاستسلام ، بحجة ان بلادنا لا جبال فيها ولا غابات فاننا نقول لهم : ان حرب الشعب هي حرب الجماهير . ولقـــد قاومت جماهيرنا الغزاة طوال قرون على هذه الارض عينها . وعلينا ان نقاتل كما قاتلوا وأن ننتصر كما انتصروا . وعلينا ان نستفيد من تنوع تضاريس بلادنا العربية ، لان في هذا التنوع مزايا فائقـة لحرب شعب مظفرة . ولنجعل الغابات البشرية غابات مقاتلة لانها وحدها التي تستطيع القتال .

وحيث وجدت الغابات فليوجد المقاتلون ، وحيث وجدت المدن والقرى فلتتحرك ارادة القتال ، ارادة الجماهير .

وحيث وجد المقاتلون فليلتصقوا بجماهيرهم ، وليعبئوهـــم وليفجروا طاقاتهم ، لانهم لن يستطيعوا ان يعيشوا بدون هـــذه الجماهير .

الجبهة الوطنية الاردنية : ضرورتها ومهماتها

لم يكن الاردن في يوم من الايام ، بحاجة الى الجبهة الوطنية، حاجته اليها اليوم . ويعود ذلك في اعتقادي الى العوامل التالية:

اولا : اندفاع حكام الاردن على طريق العمالة والخيانة ، كما لم يندفعوا من قبل ، وتحولهم منذ شباط سنة ١٩٧٠ الى أداة قمع دموية ضد الجماهير ، تخطت القتل الفردي والقمع الفردي الى المجازر الجماعية والقمع الجماعي ؛ وبهذا تجاوزت كونها أداة نظام عشائري رجعي الى كونها أداة الثورة المضادة .

ثانيا : سير السلطة في الاردن سيرا حثيثا على طريق تصفية القضية الفلسطينية واشتراكها في مخططات ضرب الحركة الوطنية العربية اشتراكا فعالا .

ثالثا : ازدياد البطش والارهاب والقمع والاضطهاد وتحويل الاردن كله الى سجن كبير .

رابعا : الارتماء نهائيا في أحضان الامبريالية والتكيف مع متطلبات تنفيذ مخططاتها .

خامسا : استخدام كل اساليب التضليل من اجل تمزيق وحدة الجماهير الاردنية الفلسطينية خصوصا والجماهير عموما وبذر

بذور الانقسام والشقاق في صفوفها لضرب فئة منها بالاخرى واستخدام فريق منها ضد فريق .

وهذا كله ليس جديدا على السلطة العميلة في الاردن ، اذ انها كانت منذ كانت تلعب مثل هذا الدور . ولكن التطورات التي حدثت في العالم عموما ، وفي المنطقة العربية خصوصا ، قد قادت الى ان يتطور الدور الذي تلعبه السلطة في الاردن ليكون منسجما مع متطلبات الثورة المضادة في صراعها مع قوى الثورة .

وما كان ممكنا ان يحدث ما حدث ، وأن تصل الامور الى ما وصلت اليه ، لو كانت الحركة الوطنية في الحقبتين الماضيتين اكثر وعيا واكثر تماسكا . ولكن الحركة الوطنية في الخمسينات، مثلها في الستينات ، كانت تفتقر الى الوعي والى التماسك . ونتيجة لافتقاد هذين العاملين الضروريين والاساسيين تمكنت السلطة في الاردن من ان تكسب معركتها ضد الحركة الوطنية سنة ١٩٥٧ ، كما تمكنت من كسب معركتها سنة ١٩٧٠-١٩٧١ .

وكانت السلطة في الحالتين تضرب لان الحركة الوطنية كانت تقف مترددة ، وكانت السلطة تنتقل الى الهجوم لان الحركة الوطنية كانت تحجم اسيرة تفككها وتناحرها .

واذا كانت السلطة قد حاولت سنة ١٩٥٧ ان تجعل المعركة معركة البادية ضد الحضر ، فانها حاولت سنة ١٩٧٠ ان تجعلها معركة الاردنيين ضد الفلسطينيين .

ولقد استطاعت السلطة ان تنجح سنة ١٩٥٧ ، كما استطاعت ان تنجح سنة ١٩٧٠ - ١٩٧١ . ولكن نجاحها في المرة الاولى لم يحتج الى ما احتاج اليه في المرة الثانية من خسائر بشرية واقتصادية ، ولا ادى الى الشرخ العميق الذي يعيشه الاردن الان.

ولهذا كله ، يصبح موضوع الجبهة الوطنية هو الموضوع الاكثر الحاحا والاكثر اهمية من بين كل القضايا المطروحة على الحركة الوطنية في الاردن . ولن نستطيع ادراك هذه الحقيقة جيدا ، ما لم نحدد مهمات هذه الجبهة . فما هي هذه المهمات ؟

انها :

اولا : حشد اوسع قطاعات المواطنين ، من مختلف الفئات والطبقات ، فلسطينيين وشرق أردنيين، اهل شمال واهل جنوب، بدو وحضر الخ من اجل تحقيق اهداف وطنية عامة . ان اعادة وحدة الهدف ووحدة القضية الى هذه الجماهير العربية قضية هامة وأساسية ، لان السلطة ارادت ان تمزق وحدة الجماهير ، وان تبلبل ارادتها ، فعملت على حجب وحدة الهدف ووحدة القضية عن اعينها ، واخذت تزرع بذور الانقسام والشقاق في صفوفها .

ثانيا : تتلخص القضايا التي يتم الحشد حولها بما يلي :

أ ـ اسقاط الحكم الاردني العميل .

ب ـ اقامة نظام وطني ديمقراطي ، يمثل اوسع الجماهير ، وتشارك فيه كل القوى الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية .

وهذه هي القضية المركزية من قضايا الحركة الوطنية في الاردن ، لانه من المستحيل بدون هذه الخطوة الكيفية تحقيق اي تقدم في اي ميدان من الميادين الداخلية والخارجية .

ولكن هذين الهدفين لا يمكن ان يطرحا الا ضمن خط سياسي ثوري على الصعيد المحلي والعربي والعالمي .

فمحليا لا بد مما يلي :

أ ـ تعبئة كل الامكانيات والطاقات للمشاركة في معركة التحرير تعبئة حقيقية فعالة (التعبئة ، التدريب ، التسليح ، بناء الملاجيء ، حفر الخنادق والانفاق ، تكييف الاقتصاد مع حاجات الحرب الخ) .

ب ـ ارساء علاقات ديمقراطية بين السلطة والجماهير وبين المنظمات والهيئات والافراد المشاركين في الحكم الوطني .

ج ـ العمل على استقلال الاقتصاد الاردني ، بضغط النفقات

وزيادة الانتاج عن طريق التوسع في الزراعة والصناعة والخدمات .

د ـ توطين البدو بتمليك من لا يملكون اراضي منهم ، وبتوفير المساعدات المادية لهم كي تتوافر لهم شروط الاستقرار .

هـ ـ تحديد السقف الاعلى للملكية ، حسب المناطق ، وتوزيع اراضي الدولة والاراضي التي يتم الاستيلاء عليها على الذين لا يملكون ، او يملكون من الارض ما هو دون حاجتهم .

و ـ تشجيع تربية المواشي والدواجن .

ز ـ توفير العمل للعاطلين وتحسين شروط العمل (تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات ، تحديد حد أدنى للاجر ، توفير الحريات النقابية الخ) .

ح ـ الحد من ارتفاع تكاليف المعيشة (الايجار ، الماء ، الكهرباء ، الضروريات اليومية الخ) .

ط ـ التوسع في الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية .

ي ـ تشجيع التعاونيات الانتاجية والاستهلاكية والتسويقية .

وعربيا لا بد مما يلي :

أ ـ المشاركة الفعالة في العمل من اجل خلق الجبهة الوطنية العربية الواسعة ، التي تضم كل المعادين للامبريالية والصهيونية على نطاق الوطن العربي كله .

ب ـ النضال مع الجماهير العربية والحركة الوطنية العربية من اجل التحرير والتحرر والوحدة والتقدم .

ج ـ النضال بحزم لاحباط الحلول الاستسلامية ولافشال كل المساعي الهادفة الى تصفية القضية الفلسطينية .

وعالميا لا بد مما يلي :

أ ـ اقامة اوثق العلاقات مع كل القوى الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية .

ب ـ تعزيز العلاقات مع الدول الاشتراكية جميعا ودون استثناء.

ان هذه الخطوط العامة لبرنامج مهمات الحركة الوطنية ،

هي الكفيلة بحشد كل القوى الوطنية والشريفة ، وهي الكفيلة باحياء وحدة الارادة والهدف لدى الجماهير .

وعلينا جميعا ان نناضل بعزيمة لا تكل من اجل تحقيق هذه الاهداف .

ونحن واثقون ان شعبنا الاردني العظيم الذي قاوم الطغمة الدخيلة منذ دخلت عمان سيظل يقاومها حتى يتحرر الاردن من دولة القمع الدموي ، ليصبح دولة متحررة مستقلة ، غير تابعة للامبريالية ، ولا خاضعة لعملائها .

المأزق الراهن وطريق الخروج منه

منذ (١) كانت القضية الفلسطينية وظروفها العربية من العوامل الاساسية المتحكمة بها . وليس هذا غريبا ففلسطين جزء من الوطن العربي ، ونشوء الكيان الصهيوني فيها جزء من محاولة الامبريالية للسيطرة على أمتنا العربية . ثم ان فلسطين رقعة صغيرة في قلب هذا الوطن الكبير ، وسكانها العرب كانوا دائما قلة صغيرة من جماهيره الغفيرة . واذا كانوا اليوم لا يتجاوزون ٢ بالمئة من سكان هذا الوطن ، فان نسبتهم كانت كذلك منذ بداية القرن على وجه التقريب .

.. ولهذا فان حصيلة الظروف السياسية في الوطن العربي كانت تنعكس دائما ، سلبا او ايجابا ، على فلسطين . فحين كانت الحركة الوطنية العربية تتصاعد وتتسع افقا وعمقا كانت حركة الجماهير العربية في فلسطين تزداد تأججا واتساعا .. وحين كانت الرجعية العربية تسيطر على حركة الجماهير العربية ، او الحراب الاجنبية

---

١ ـ فلسطين الثورة ، العدد ٥٨ ، ٢٩-٨-٧٣ .

تبطش بالقوى الوطنية العربية كانت الحركة الوطنية في فلسطين تُطعن وتضرب .

وكانت الانظمة العربية عموما تعتبر ان من مهمتها «تهدئـــة» شعب فلسطين ، وذلك لسببين :

اولهما : ترضية للقوى الاستعمارية في فلسطين .

وثانيهما : خشية اضطراب «حبل الامن» في البلاد العربيـة نتيجة تجاوب الجماهير العربية مع الحركة الوطنية في فلسطين .

ولهذا فلقد عملت الانظمة العربية قبل سنة ١٩٤٧ علـى ان تهدىء الفلسطينيين ، وأن تتوسط بينهم وبين المستعمرين البريطانيين . ولم تكتف بذلك بل تآمر بعضها عليهم لمصلحة امن الاستعمار البريطاني . والدور الذي لعبه الرؤساء العرب فـي اجهاض اضراب سنة ١٩٣٦ ومحاصرة الثورة بعد ذلك واضـح ومعروف .

وحين اقرت الامم المتحدة قرار التقسيـم ، وهب الشعب الفلسطيني مدافعا عن اراضيه . لعبت الانظمة العربية دورها في محاصرة ثورته وتسهيل تنفيذ قرار التقسيم وقيام دولة الاحتلال الصهيوني .

وما حدث قبل سنة ١٩٤٧ ، حدث بعدها . وما يلاحظـه قارىء تاريخ المرحلة الاولى ١٩١٧ — ١٩٤٧ ، يلاحظـه دارس المرحلة التالية ١٩٤٩ — ١٩٧٣ . فالانظمة العربية تلعب دور تهدئة الفلسطينيين وتكييفهم مع مستلزمات واقعها العاجز . وهي لذلك تحاصرهم ، وتشق صفوفهم وتبرز لهم القيادات التي تريد الخ .

وينفرد النظام الاردني من بين هذه الانظمـة بدور خاص . ويعود ذلك لسببين :

اولهما : الدور الذي عهد به الاستعمار البريطاني عند انشاء امارة شرق الاردن بصدد المحافظة على الامن في فلسطين لمصلحة الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني .

ثانيهما : مطامح النظام الاردني بجزء مـــن فلسطين . فلما ساهم النظام الاردني في عملية الاقتسام ، وحصـــل على نصيب الثعلب ، أصبح مطالبا بأن يحافظ على «حصته» . ولكي يحافظ على هذه الحصة كان لا بد من ان يدافع عن دولة الاحتـــلال الصهيوني .

ان ارتباط النظام الاردني بالامبريالية وتبعيته لها ، ثم خوف النظام الاردني من الفلسطينيين يجعله دائما متكرسا لقمعهـــم وسحقهم .

ولم يكن غريبا ، والحالة كذلك ، ان يقوم النظام الاردني بعد قيام دولة الاحتلال ، بمحاولة الهيمنة التامة على الفلسطينيين ، وسحق روحهم المعنوية وتذويب شخصيتهم وقتل وطنيتهم . ان هذه المهمة الاجرامية تتفق اتفاقا تاما مع حاجة النظام الاردني الى «الاستقرار» الداخلي والى الوفاء بعهوده لسادتـــه الامبرياليين وشركائه الصهيونيين الغزاة .

وحين عجز النظام الاردني عن القيام بمهماته وقامت الثـورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ اخذ على عاتقه مهمة سحقها وسحـــق الشعب الفلسطيني معها. ولذلك حدثت المجازر الكبيرة في الاردن، ابتداء من ٤ ــ ١١ سنة ١٩٦٨ وانتهاء بمجازر جرش وعجلون في تموز سنة ١٩٧١ ، مرورا بسنة ١٩٧٠ العظيمة الرهيبة .

ولقد برز ، بعد سنة ١٩٦٧ عامل جديد في الساحة العربية. هذا العامل هو قوة دولة الاحتلال الصهيوني وارتعاش اوصـــال الانظمة العربية امامها . وهذا العامل يضيف جديدا في العلاقة بين الفلسطينيين والانظمة العربية . انه يزيد خشية الانظمة مـــن نشاط القوى الوطنية الفلسطينية ، ويدفع الانظمة الى زيـــادة حذرها ، والى محاولة محاصرة القوى الوطنية الفلسطينية ؛ حتى لا تفلت الامور في المنطقة من ايديها .

ويلاحظ المراقب ان الانظمة العربية الان في ورطة . انهـــا

عاجزة امام دولة الاحتلال الصهيوني ، وهي متهالكة امام عنجهية الولايات المتحدة . وهي في الوقت ذاته تعرف معنى تحـــدي الجماهير العربية باعلان الاستسلام ، او قبول شروط دولـــة الاحتلال . ولذلك فانها تسعى جاهدة لتجنب «كارثة» جديدة ، اي احتلال جديد ، او غارات تربكها وتهزها امام جماهيرها . ولكي تتجنب ذلك فانها مطالبة بأن تحد من نشاط القوى الوطنيـــة الفلسطينية . ذلك انها لا ترى غير ذلك .

وهكذا نرى اننا ما زلنا نعيش المأزق العربي . والثـــورة الفلسطينية التي عجزت دولة الاحتلال عن سحقها معرضة للسحق الان على ايدي الانظمة العربية . وسيكون بعض السحق دمويـــا وبعضه معنويا ، ولكنه سحق على كل حال .

لمـاذا ؟.

لان الانظمة العربية ما زالت حتى الان عاجـــزة عن القتال ، ولانها تخشى ان يقود الكفاح الفلسطيني الى غارات وصدامات ، ثم الى احتلال جديد ، وهي غير قادرة على الرد او المواجهة .

وأمام هذا الواقع العربي الذي تزيده الهجمة الامبرياليـــة الشرسة ترديا لا بد لنا من ان نقف وقفة متروية ندرس سبـــل الخروج من المأزق . ان الاسترسال في عدم معالجة الازمة سيزيد الازمة تفاقما . واذا كانت السياسات العربية الرسمية والعجـز الفلسطيني قد قادا في الماضي الى قيام دولة الاحتـــلال وتشرد الشعب الفلسطيني . فان استمرار خضوع القضية الفلسطينيـــة للعجز العربي سيقود الى تصفية القضية والشعب والى سيطـرة دولة الاحتلال الصهيوني على اجزاء اكبر من وطننا العربي .

وهذا يتطلب منا ما يلي :

اولا : ان نزيد الدور النضالي الفلسطيني ، وذلك عن طريق :

أ ـ تصعيد كل اشكال النضال في الارض المحتلة والاردن .

ب ـ التمسك بمنطلقات الثورة وأهدافها تمسكا لا يعرف اللين .

جـ ـ خلق الاطر التنظيمية القادرة على تحمل المسؤولية الجديدة.
د ـ تعبئة الجماهير الفلسطينية تعبئة ثورية وتدريب هذه الجماهير وتسليحها واعدادها للمشاركة في القتال والدفاع عن الثورة مشاركة فعالة .

ثانيا : ان تساهم الثورة الفلسطينية في اشعال روح الثورة في الجماهير العربية .

ان اضعاف الدور السلبي للانظمة العربية لا يكون الا بزيادة دور الجماهير. وبزيادة دور الجماهير العربية في الحياة السياسية العربية سيكون ممكنا رفع الحصار عن الثورة الفلسطينية ودفع المزيد والمزيد من القوى العربية لمواجهة الاحتلال الصهيوني والسيطرة الامبريالية .

اننا بالتركيز على هاتين القضيتين ندفع بالثورة الى الامام ، ونسقط القوى والعوائق التي تقف في طريقها . وهنالك الكثير من العوامل المساعدة لنا في مهمتينا هاتين . وأول هذه العوامل وأهمها : استعداد الجماهير العربية لمقاومة الاحتلال ، عداؤها للصهيونية والامبريالية والرجعية العربية ، أصرارها ان تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة قضيتها الاساسية .

وهذا الخط النضالي الثوري منسجم مع روح العصر . ان الانتصار الفياتنامي العظيم ضد اقوى قوة عسكرية في العالم، وفي التاريخ انصع دليل على صحة هذا الخط . كما ان تصاعد الثورة في كمبوديا واقتراب الثورة من ابواب العاصمة على الرغم من كل أشكال الدعم التي قدمتها الولايات المتحدة وحكومة سايغون العميلة انصع دليل على تفوق الحرب الشعبية وقدرتها على تحقيق الانتصار .

لقد استطاعت القوى الوطنية في كمبوديا ، وعلى الرغم من سياسة الوفاق الدولي، ان تهزم القوى العميلة والقوى الامبريالية، وأن تحقق التحرير . فلماذا لا تكون الجماهير العربية قادرة على

تحقيق هذه المهمة مع كل ما تملكه من مزايا ؟

ان مصير الثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية مرهون الان بمدى استعداد القوى الوطنية لفهم طبيعة المعركة ، وبمـــدى استعدادها لرمي كل ثقلها ضد النزعات الاستسلامية .

واذا كانت الظروف تبدو غير مؤاتية الان ، فان المطلوب منا ان نناضل لنجعلها مؤاتية . واذا كان هنالك من يريد ان يطأطـــىء الراس لزوبعة الاستسلام فان هناك كوادر وقواعد وجماهـــير مصممة على ان تواصل المسيرة . ومن هذه الكوادر والقواعـــد والجماهير علينا ان نستمد العزيمة والاصرار والقدرة على مواصلة القتال . ومن خلال عزيمة الجماهير واصرارها يجب ان ننظر الى المستقبل لا من خلال عيون الضعاف المستسلمين والعاجزيـــن المترددين .

الثورة الفلسطينية واللعبة الدولية

تطرح (١) في هذه الايام فكرة «الدولة الفلسطينية» و «الامة الفلسطينية» ، كما لم تطرح قبل ، ومع ان قرار التقسيم قد اتخذ سنة ١٩٤٧ ، فان المحاولات تجري «لبعثه» في هذه الايام عن طريق مناقشات مجلس الامن . ولكن هل هنالك امكانية «لبعثه» من «الموت الابدي» ؟ ليس هنالك امكانية . ذلك ان «بعث» مشروع التقسيم الميت يحتاج الى ما يلي :

١ ــ موافقة الشعب الفلسطيني وطلائعه المقاتلة .

٢ ــ موافقة دولة الاحتلال الصهيوني .

او قدرة الامة العربية ، بمساندة دولية ذات شأن ، على فرض تنفيذ قرار التقسيم بالقوة .

---

١ ــ الصياد بتاريخ ٦/٢٨ ــ ٧/٥ ــ ١٩٧٣ .

ولكن الشعب الفلسطيني ممثلا بطلائعه المقاتلة والمناضلة ، رفض قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، كما رفض غيره من مشاريع التقسيم والمشاريع الاستعمارية ، واصر على دخول المعركة دفاعا عن حقه الكامل في ارض كاملة . ومنذ ذلك الحين وشعبنا يخوض معارك ضارية ضد كل المناورات التي تستهدف ادخاله شريكا في اللعبة الدولية الهادفة الى اضفاء الشرعية على وجود دولةالاحتلال.

وبينما طرح قرار التقسيم قيام دولة فلسطينية ، الى جانب دولة اخرى «يهودية» ، حدث شيء مغاير تماما . لقد كانت الصيغة العملية التي تحققت ، وعلى الرغم من قرارات الامم المتحدة ، ان دولة الاحتلال قامت على ثمانين بالمائة من اراضي فلسطين ، وان الباقي ــ ما عدا غزة ــ ضم الى المملكة الاردنية الهاشمية .

وظل الشعب الفلسطيني ، ومن ورائه الجماهير العربية ، يناضل ضد الصيغتين : صيغة قرار مجلس الامن سنة ١٩٤٧ وصيغة قيام دولة الاحتلال الصهيوني على جزء من ارض فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية على جزء آخر .

وكانت ثورتنا في الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ ثورة على الصيغتين معا . ولم يطرح الشعب الفلسطيني في يوم من الايام ، انه موافق على مشاريع مجلس الامن والامم المتحدة . ولا طرحت الثورة الفلسطينية انها تقاتل من اجل تنفيذ اي قرار من قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن .

وكان ما طرحته الثورة واضحا : القتال من اجل تحرير فلسطين واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية عليها ، ضمن مطامح الجماهير العربية في الوحدة والتحرر .

هذا من جهة . اما من الجهة الاخرى فان دولة الاحتلال الصهيوني تجاوزت قرارات التقسيم وقرارات مجلس الامن كلها، وهي تحتل اليوم كل ارض فلسطين كما تحتل الجولان وسيناء . ثم انها تعلن على السنة مسؤوليها انها لن تخضع لاي قرار لا يضمن

مصالحها ، ولا يوفر لها حدودا آمنة ومعترفا بها ، خارج اطار كل قرارات الامم المتحدة .

وليست الامم المتحدة قادرة في هذا الوقت بالذات على فرض قراراتها على دولة الاحتلال . ولا يعود ذلك الى عجز الامم المتحدة فحسب ، بل يعود اساسا الى ان الولايات المتحدة ، اقوى قوة في الامم المتحدة ، لا تتجاهل قرارات المنظمة الدولية فحسب ، بل تؤيد دولة الاحتلال الصهيوني في سياستها العدوانية والتوسعية.

وليست الدول العربية في وضع يمكنها الان من فرض ارادتها بالقوة ، او تنفيذ قرارات الامم المتحدة بالقوة العسكرية ــ لو ارادت ذلك ــ لاسباب يعرفها كل عربي .

اذا كان هذا هو الواقع وهو الحقيقة ، فلماذا تطرح قضية الدولة الفلسطينية الان ؟ وماذا الذي ستقود اليه ؟

شرط اللعبة هو ترك القتال

ان طرح قضية الدولة الفلسطينية والاعتراف بـ«الامةالفلسطينية»، بعد التركيز سنوات على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، يستهدف الضغط على الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني من اجل القبول بصيغة حل . ولقد علمتنا التجارب ان هذه الصيغة لن تكون صيغة دولة فلسطينية ، ولا صيغة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . بل ستكون صيغة جديدة ــ اذا ما تحققت ــ مختلفة كليا عن كل الافكار المطروحة . ولعل تجربة قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ وما تلاها احسن دليل على ما نقول .

والخطورة في الامر ليست هنا . انها في غياب استراتيجية عربية مقاتلة ، تعرف ما تريد ، وتعرف كيف تقاتل من اجل ما تريد سياسيا وعسكريا . وما دام الامر كذلك فان «المناورات السياسية» تقود الى مزالق سياسية ، وليس الى انتصارات سياسية .

ولعل أخطر هذه المزالق بالنسبة الى الشعب الفلسطيني ان يزين لفئة منه امر دخول اللعبة الدولية . ولقد كانت الدعـــوة الموجهة الى منظمة التحرير لاعلان دولة فلسطينية بادرة خطرة . ذلك انها اما ان تستقطب بعض المنتمين الى منظمـــة التحرير ، فتوقع بينهم وبين سائر المنظمات ، او ان تتخلف منظمة التحرير من الاستجابة ، فتخرج أطراف فلسطينية اخرى ، لا ينقصها الا ان ترى الاوضاع مناسبة .

وبما ان شرط دخول اللعبة الدولية الخاصة بالشرق الاوسط، هو ان تكون الاطراف العربية «اللاعبة» غير مقاتلة ، فان هذا يعني تحويل ممثلي الشعب الفلسطيني ، سيان كانوا بقايا منظمـــة التحرير او شرذمة فلسطينية جديدة ـ قديمـــة الى «لاعبين» دوليين لا مقاتلين على ارض الوطن . وتوحي مثل هذه الدعـــوة ـ وهذا مصدر اساسي من مصادر خطورته ـ ان المنظمة الدولية ستقدم للفلسطينيين شيئا ، عن غير طريق القتال . وسيدفع هذا الايحاء الذي اخذت التعبئة به تزداد اتساعا ، الى تحول قطاعات من شعبنا ـ وخاصة الكثير من ذوي المصالح ـ الى طريق السراب.

لقد بذل شعبنا الكثير خلال السنوات الخمسين الماضية . ولم تستطع «الاغراءات» ان تحرفه عن اصراره على حقه في بـــلاده كاملة ، ولا استطاعت ان تقنعه ببديل عن الاستقلال الكامـــل والوحدة الكاملة لترابه .

«تهدئة» المنطقة العربية

ويمر اليوم نضال شعبنا بمرحلة اكثر صعوبة وتعقيدا من اي وقت مضى ، خلال العقدين الماضيين . انه يشبه وضع شعبنـا وثورتنا سنة ١٩٤٧ . وان كان الخطر اكبر والقوى المتآمرة اكثر قدرة وشراسة . ان العدو الصهيوني مصمم الان على تصفية ارادة القتال الفلسطينية والعربية ، كما ان الولايات المتحدة الاميركيـة

مصممة على «تهدئة» المنطقة العربية . ويبدو فوق ذلك كله ان القوى الدولية الكبرى تعمل على اعداد صيغة تسوية ، تضمن «استقرارا» ضمن التوازنات الدولية القائمة .

ان هذا كله يطرح على شعبنا وثورتنا مهمات جديدة . واذا كان هنالك من يقول لنا : ان تركيب ثورتكم لا يسمح بأكثر مما يمكن للتوازن الدولي ان يعطيه لكم ، فان من واجبنا ان نعد شعبنا وثورتنا لتحمل مهمات المرحلة الجديدة : مرحلة القتال ضد دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة والقوى الرجعية العربية المتآمرة معها ، ولدينا من حماسة الجماهير واندفاعها ، ومن خبراتها وتجاربها ، ما يؤهلنا للارتفاع الى مستويات المرحلة الجديدة .

كما ان لدينا تأييد اوسع قطاعات الجماهير العربية وقناعة كل القوى الوطنية العربية بأن لا طريق غير طريق القتال .

ولذلك فان علينا ان نبذل كل ما نستطيع من اجل منع ظهور «الممثل» الفلسطيني على مسرح اللعبة الدولية ، او مشاركته فيها بأي شكل من الاشكال . وهذا لن يكون الا بالقتال كل اشكال القتال ، من خلال تعبئة الجماهير الفلسطينية كلها واشراك اوسع الجماهير العربية في المعركة .

القضية الفلسطينية امام سياسة الوفاق الدولي

ظن (١) كثيرون ان تطور العلاقات السوفييتية ـ الامريكية وتحسنها خلال السنوات الماضية ، سيقود الى نوع من السلام في منطقتنا . ولقد اخذ كثيرون يتصورون ان «حلا سلميا» بات على الابواب وان قمة برجينيف ـ نيكسون ستحسم الكثير من الامور . ولذلك كثرت المراهنات على هذه القمة ، وتوهم بعض من الفلسطينيين ان العملاقين سيخرجان «دولة فلسطينية» من حالة الاختلاط والتشوش التي تسود المنطقة .

وكان هؤلاء الواهمون والمراهنون يبنون أوهامهم على افتراضين بعيدين عن الصواب .

الاول : ان تطور تعاون الدولتين الكبريين يعني بالضرورة اتفاقهما على كل شيء ، وقدرتهما على حل كل المشاكل والقضايا.

الثاني : ان رغبة الدولتين الكبريين هي الحاسمة ، وانه ليس هنالك «ارادات» تفعل فعلها ، ضمن لعبتهما وخارجها .

---

١ ـ روز اليوسف ، ٩ـ٧ـ١٩٧٣ .

وهذان الافتراضان ليسا بعيدين عن الصواب فحسب ، بل هما يتجاهلان حقائق اساسية في هذا العصر . واهم هـــذه الحقائق :

اولا : ان الدولتين الكبريين تتجهان نحو مزيد من الاتفاق . وسيؤثر هذا الاتفاق في أوضاعنا ، لان سياسة الاتفـــاق نفرض اساليب تعامل غير سياسة الصراع والحرب الباردة او غير الساخنة.

وطبيعي ان يكون الطرف الحريص على الاتفاق ، المستفيد منه، مستعدا للتنازل من اجله ، كما انه طبيعي ان يكون كل طرف من الطرفين حريصا على اثارة أقل ما يمكن من المشاكل العالمية . ولكن هذا لا يعني ان سياسة الاتفاق تلغي التناقضات، وتجعل كل طرف من الطرفين عازفا عن اقتحام مناطق نفوذ الطرف الاخر .

واذا كان الطرفان قد اتفقا على تجنب الحرب الشاملة، وتقدما على طريق التعاون ، فمن يقول ان امكانيات الحروب المحدودة قد زالت ، ومن يستطيع ان يمنع الحروب الاهلية ؟

ثم ان الولايات المتحدة الامريكية ، حتى وهي تعقد الاتفاقات، تعمل جاهدة لتوسيع دوائر سيطرتها ونفوذها في العالم ، عـــن طريق التخريب واثارة الفتن والعدوان الخ .

واذا كانت تفعل ذلك على صعيد العالم كله ، فهي اكثر حرصا على ان تفعله في منطقتنا . وذلك لسببين :

اولهما : لان منطقتنا تحوي ثروات هائلة ومصادر اساسية من مصادر ثروة الامبريالية العالمية. ثانيهما: لان هزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية لا بد ان تنعكس تصلبا وتشددا في منطقتنا، ذلك ان الاحتكارات تحس انها بحاجة الى الطمأنينة فيما يتعلق بمصـــير مصالحها هنا .

ولم يكن الحديث عن ازمة الطاقة واهمية منطقتنا وضرورة الهيمنة عليها ، ولو بالقوة حديث هراء .. انه تعبير عن «الاهتمام الزائد» الذي ستعطيه الامبريالية الامريكية والحركة الصهيونية

العالمية لمنطقتنا ، ولبلادنا العربية بالذات .

وهذا يعني ان الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من الاتفاقات مع الاتحاد السوفييتي ستعمل في بلادنا من ثلاث زوايا :

١ ــ تكريس الانتصار الاسرائيلي ، والهيمنة الصهيونية ، وهذا يتطلب ان تبقى دولة الاحتلال الصهيوني اقوى قوة عسكرية في المنطقة ، وان تؤمن دائما الاوضاع الملائمة لمثل هذا التفوق .. وقد يكون ذلك عن طريق الضربات العسكرية او الاحتلال المؤقت او الدائم .

٢ ــ ملاحقة القوى الوطنية العربية وضربها ، وتأمين القوى العميلة ، بتوفير اسباب القوة لها ، وبتقديم كل انواع المساندة السياسية والعسكرية المادية وغير المادية .

٣ ــ العمل على تفتيت الجماهير العربية من خلال الفتن الطائفية ، وتحريك الاقليات القومية ، والاستفادة ما امكن من كل التناقضات الموجودة .

ثانيا : ان للعوامل الدولية اثرها في كل الصراعات العالمية والمحلية ، وهذا الاثر هام ، ولا يمكن الاستخفاف به ولكن هذا الاثر ليس الاثر الحاسم في النصف الثاني من القرن العشرين .. ان للعامل الذاتي اثره الهام .. وهو يستطيع ان يكون حاسما .

واذا كانت القوى الدولية الكبرى قادرة في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ان تحسم كل الصراعات مؤقتا ، وقت تشاء وبالشكل الذي تريد ، فانها أعجز من ان تفعل ذلك في هذه الايام، كما اثبتت وقائع التاريخ الحديث ، واحدثها تطور الاحداث في الهند الصينية .

ان كل المحادثات التي جرت لم تنته بتقسيم فيتنام مثلا ، او بفرض الاستسلام على شعوب الهند الصينية كما كان يحدث في الماضي .

وهذا يعني ان الشعوب اذا صممت واستعدت ، قادرة على ان

تحقق مطامحها ، حتى عندما تكون الولايات المتحدة الامريكية هي العدو .

ثم ان تاريخ الشعوب ، منذ بداية القرن الماضي وحتى الان ، ليس الا تغييرا مستمرا للخرائط التي ترسمها الدول العظمى .

ولهذا فان العامل الذاتي هام وأساسي ولا يجوز ان ينسى . انه وحده ما نملك ، وهو الذي يجعلنا قادرين على ان نواجه الاعداء ، وان نغير كل ما يخطط لمصلحتنا . وعلى العامل الذاتي يجب ان نضع اهتمامنا .

ان الذين لا يعطون لهذا العامل اهميته ، هم الذين لا يثقون بالجماهير وبوعيها وبقدرتها وباستعدادها للتضحيات ، وهم الذين ينتظرون النصر من «السماء» .. وهم اذ لا يرون الا الدول العظمى ، يستخفون بقوة جماهيرهم ويتركون مستقبلها في أيدي العمالقة .

ان تجاهل هاتين الحقيقتين يضعنا في المأزق لانه يصور لنا ان الابواب مغلقة ، وان ما من امل ، لان القوتين العظيمتين تسيران على طريق الاتفاق .

ولقد اثبتت السنوات الماضية ان «الحل السلمي» ليس على الابواب هذا ما يجب ان يكون واضحا في أذهاننا . وهذا يفرض علينا ان نستعد لمواجهة حملات التصفية والاستسلام ، ولا نسمح للاوهام بأن تتسرب الى قطاعات من جماهيرنا .

وهذا يعني :

١ ــ ان ننمي روح الاعتماد على النفس ، وأن ننمي ثقتنا بأنفسنا وجماهيرنا وقوانا .

٢ ــ ان نعدّ جماهيرنا للمواجهة ، وان نجعلها قادرة على المشاركة في المعركة مشاركة حقيقية ، وعلى تحمل أعبائها ومسئولياتها.

٣ ــ ان نبني القوات المقاتلة ، الملتحمة مع الجماهير ، الواثقة بها، القادرة على تفجير قواها المستعدة لكل التضحيات من اجل الوطن والنصر .

بهذا نخرج من المأزق ، وبهذا نخرج من المتاهة ، ونغير كل الخرائط التي رسمتها الصهيونية والامبريالية .. وبهذا ايضا نمنع اية محاولة لتلوين منطقتنا بأي لون ، غير اللون الذي نريده .

ان دولة الاحتلال ستقوم في المرحلة القادمة بمجموعة من الهجمات الصغيرة والكبيرة ، بهدف تحطيم الارادة العربية المتأبية على الاستسلام ومحاولة تدمير القوى السياسية والعسكرية التي لم ترفع الرايات البيضاء بشكل واضح وعلني بعد في محاولة لرسم خارطة جديدة للمنطقة (١) .

وستمكن هذه الخطوات دولة الاحتلال من تحقيق ما يلي :

١ ـ التوسع باحتلال مزيد من الاراضي .

٢ ـ محاولة الاستيلاء على منابع الليطاني لتوفير المزيد من المياه للنقب .

٣ ـ محاولة وضع حقول النفط في شمال العراق ضمن السيطرة، لجعل اراضي العراق كلها تحت التهديد المباشر (٢) .

٤ ـ عزل الاردن عن سورية واتاحة الفرصة لحكامه ، كي يوقعوا صلحا منفردا .

ان هذا كله يقتضي يقظة القوى القومية العربية ووحدتها وسرعة اعداد نفسها للمعارك المقبلة .

واذا لم يحدث ذلك ، تتحقق سيطرة مؤقتة للولايات المتحدة ، ودولة الاحتلال الصهيوني .

---

١ ـ ولقد جاءت حرب السادس من تشرين ضربة «احباطية» في وجه من وجوهها لهذه الضربات، ولكنها لن تمنعها بل ستزيد الاصرار عليها .

٢ ـ لم تتم القفزة باتجاه الفرات بعد ، ولكنها تمت باتجاه النيل .

القسم الثالث

الانتهازية السياسية : اسبابها ومظاهرها واخطارها

الانتهازية السياسية من اكثر امراض الحركات الثورية خطرا. وهي مرض عرفته كل الحركات الثورية في التاريخ وعانت منه الكثير . وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من الحلول التي قدمها القادة الثوريون ، فما زالت هذه الظاهرة موجودة ، وما زالت تفعل فعلها في الحركات الثورية . ولعلها ومنذ بداية هذا القرن الظاهرة الاوسع انتشارا والاكثر خطرا . وقد ساهمت في تدمير حركات عمالية وثورية كبرى .

واذا كان هذا المرض يصيب الحركات الثورية عموما ، فهو اكثر انتشارا في حركات التحرر الوطني التي تضم طبقات وفئات مختلفة ، وتتصارع فيها ايديولوجيات مختلفة .

ويعود انتشار هذا المرض العضال في حركات التحرر الوطني والحركات الثورية عموما الى الاسباب التالية :

اولا : عدم وضوح الخط السياسي وضوحا كافيا وعدم توافر

برنامج عمل سياسي محدد ، منسجم مع ظروف العمل الوطني ومع امكانياته .

ثانيا : عدم انطباق الممارسات مع الخط السياسي والبرنامج السياسي ، ومع المصلحة الحقيقية للفئات التي يمثلها العمل الوطني .

ثالثا : عجز القيادات عن اجراء التقديرات الصحيحة للوضع، واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب .

رابعا : انحراف القيادات عن الخط السياسي السليم والبرنامج السياسي السليم وانجرافها في مزالق الذاتية والمصالح الخاصة.

وتنتج مثل هذه العوامل مظاهر عامة اصبحت معروفة ومكشوفة لكثرة ما تكررت في تاريخ الحركات الثورية . وأهم هذه المظاهر :

١ ـ التقلب والتأرجح والتذبذب : ذلك ان الانتهازيين يحددون مواقعهم على اساس مصالحهم الآنية . فهم اليوم يتبنون موقفا وغدا يتبنون غيره اذا اقتضت مصلحتهم ذلك . انهم مع القتال اذا لم يكن هنالك حاجة للقتال ، وكان الموقف يتطلب الصبر والروية ، ولكنهم ضد القتال اذا جد الجد ، وبات لزاما على الحركة الثورية ان تخوض المعمعة . وهم في اليسار اذا كان في ذلك وجاهة ومكسب دعاوي ، ولكنهم في اليمين اذا اصبحت اليسارية تهمة واشتد هجوم القوى المضادة . كما ان الانتهازيين يسار متطرف عند اليسار ويمين عفن عند اليمين ووَسَط متوسط عند المعتدلين .

يفعل الانتهازيون ذلك لانهم يفكرون بمصالحهم الخاصة وبمواقعهم الشخصية . الثورة لا قيمة لها عندهم والوطن آخر ما يفكرون به . وهم اذا اتخذوا مواقفهم فليس على اساس تحليل علمي موضوعي ، بل على اساس تحليل يبحث عن الارباح والخسائر في المطامع والمواقع .

وينطبق على الانتهازيين مثل ذلك الرجل الذي كان يصلي وراء علي ويتناول الطعام على مائدة معاوية ، ويختفي عند الحرب . وعندما سئل عن ذلك اجاب : الصلاة وراء علي أقوم ، والطعام مع معاوية أدسم ، والفرار من الحرب أسلم . وهكذا يفعل الانتهازيون السياسيون دائما انهم يصلون مع علي ويتناولون الطعام مع معاوية ويفرون من الحرب . الصلاة وراء علي تكسبهم السمعة الطيبة والطعام مع معاوية يجلب لهم المتعة والفرار من الحرب يجلب لهم السلامة . ولا يخجل الانتهازيون بانتقالهم من علي الى معاوية الى الهربية ، لان دافعهم هو منفعتهم الخاصة .

٢ ـ المزايدة : من طبيعة الانتهازيين انهم مزايدون . وهم مزايدون دائما لانهم يحاولون ان يستروا عيوبهم بالمزايدة . وهم يزايدون لانهم لا يعملون ، ولانهم يريدون أن يغطوا انحرافهم بالجعجعة . فهم اصحاب الكلمات الرنانة والجمل الطنانة . اذا تحدثوا تشدقوا واذا وقفوا على المنابر شقشقوا . وهم أناس لا يعجبهم العجب ، يكثرون من طرح الشعارات الكبيرة ، ويستصغرون كل خطة وكل عمل ، ويطالبون بالكثير الكثير والكبير الكبير . وتقودهم المزايدة الى طرح شعارات طفولية وصبيانية تستهدف تغيير العالم كله مرة واحدة ، وتتحدث عن انهاء الجيوش وسحق الدول كأنها تتحدث عن قتل الذباب بالـ د.د.ت. وهي تطرح مثل هذه الشعارات لتظهر وكأنها وراء علي ، وبجانب الصواب ، ولتخدع بذلك المخلصين وتضللهم وتشلهم عن العمل ؛ ولتقف في وجه العاملين الحقيقيين . وتسمى هذه الظاهرة الصبيانية اليسارية . وهي تمثل الروح الصبيانية الحالمة المغامرة ، العاجزة عن اتخاذ القرار الصحيح وعن الالتزام بالخط السياسي الصحيح ، وتزايد «بالشعارات الرائعة» بالجمل الطنانة والكلمات الرنانة لتخفي عجزها الحقيقي .

٣ ـ المراوغة والمخاتلة والجبن . الانتهازيون جبناء دائما. وهم

لا يواجهون ، يبتسمون في الوجه ، ويطعنون في الظهر ، وهم اذا قبّلوك فقد سلّموك . وشعارهم دائما : نحن ضد الغائب حتى يحضر ومع الحاضر حتى يغيب . ولهذا فهم لا يدخلون معارك مواجهة داخل حركاتهم . فاذا ما ناقشوا عرفوا من اين تورد الابل ، واذا طلب منهم الرأي عرفوا ما يقولون وما لا يقولون . ولذلك فان التعامل معهم داخل التنظيم الواحد خاصة مشكلة معقدة ، فهم يقولون غير ما يضمرون ، وهم يلبسون لكل حالة لبوسها . وهم يستخدمون كل اساليب الخداع والتشويه والتضليل . وهم اساتذة الرياء والمجاملة والمخاتلة . واذا كانوا يعملون من اجل تحويل السياسة الى نوع من «التكتكة» الرخيصة، فهم يحوّلون العلاقات الثورية والقيم الثورية الى أشكال من «التكتكة» الرخيصة ايضا .

٤ ــ التخاذل والتراجع والاستسلام : الانتهازيون متخاذلون دائما، متراجعون دائما ، مستسلمون دائما . انهم يتحدثون عن القتال كثيرا ، ولكن ما ان تذر قرن الحرب حتى يولوا الادبار ، لان الفرار من الحرب أسلم . وهم قد يرفعون اكثر الشعارات اثارة ولكنهم لا يتقنون غير التراجع عمليا . وهم على الرغم من تشدقهم وشقشقتهم يقودون حركاتهم نحو الاستسلام . لماذا؟ لان القتال متعب ، فيه تضحيات ودم وعرق وهم يبحثون عن طريق السلامة. واذا كان الانتهازيون يرفعون الشعارات المتطرفة ، فانهم في العمل يساومون ويهادنون ويبيعون ويشترون . وهكذا تتخذ الشعارات الخطيرة ستارا للمساومات الحقيرة . وهم يغطون استسلاميتهم بفلالات شتى : المحافظة على الثورة ، الانتقال الى شكل آخر من النضال ، اعادة تنظيم الصفوف ، انتظار الظروف الملائمة ، عدم توافر توازن في القوى الخ .

٥ ــ الارتزاق والاستزلام : الانتهازيون لا يقيمون علاقات ثورية ، ولا يحترمون القيم الثورية . ولذلك فهم يقيمون علاقات

ارتزاق واستزلام . وبما انهم لا يفكرون الا بمنافعهم فبالمنافع يشترون الآخرين . وبما انهم يريدون ادوات ولا يريدون رفاق سلاح ، فانهم يستزلون . وهكذا يفسدون العلاقات الثورية ، ويحوّلون التنظيم الى «شلل» منتفعة مرتزقة تفكر بذواتها وبمنافعها ، ولا تعرف من النضال الا اسمه . وهذا ما يجعل الانتهازيين يشجعون الروح الفردية ويثيرون عوامل التنافس غير الشريف ، ويبذرون بذور الشك والريبة بين الاعضاء ، ويجزلون العطاء للذين ينافقون ويخاتلون الخ وهدفهم من هذا كله اشاعة روح الارتزاق والاستزلام وربط الاعضاء بهم فرديا وشخصيا ومصلحيا .

٦ ــ انتهاز الفرص : والانتهازيون فوق هذا هم اساتذة انتهاز الفرص . من هذا اكتسبوا اسمهم . وهم دائما يتحينون الفرص، ويحسبون حساب اللحظة التي ينقضون فيها . انهم لا يتورعون عن خيانة رفاقهم وحلفائهم في الساعة الحرجة ، ولا يترفعون عن استغلال ازمة عامة استغلالا مصلحيا . فاذا ما وقعت الثورة في مأزق نتيجة تآمر خارجي اطلوا برؤوسهم يطالبون بمنافع ومصالح. واذا تعرضت الثورة للمخاطر رفعوا شعارات الاستسلام تحت واجهات برّاقة .

ولهذا كله فان اخطار الانتهازية كبيرة وكبيرة جدا . انها :

اولا : تفسد المناضل ، تقتل الدوافع الثورية عنده ، وتحل محل حوافزه الشريفة حوافز المنفعة والارتزاق والاستزلام . انها تجعله «محتالا» في زي ثائر ، و«جبانا» في زي شجاع ، ومنتفعا في زي «متفان» .

ثانيا : تفسد التنظيم ، تدمر العلاقات الثورية فيه وتقيم مكانها علاقات نفعية وارتزاقية واستزلامية . وبهذا يفقد فعاليته وصلابته وتماسكه ونبله الثوري ، وبالتالي يفقد ثقة الجماهير واحترامها ومحبتها . الانتهازية تحل الرياء محل الصدق والكولسة

محل المواجهة الثورية والاستفادة محل التضحية والشك والريبة محل الثقة . كما انها تلغي دور اللجان القيادية لمصلحة الافراد ، ودور المناقشة والحوار لمصلحة الاوامر العليائية . وعليه فانهـــا تضرب كل مبادىء العمل التنظيمي في الصميم .

ثالثا : تشوّه الخط السياسي بالتذبذب المستمر والانتقال من موقف الى موقف ورفع شعارات اقصى اليسار وممارسة عمـــل اقصى اليمين . وبهذا فهي تخلق البلبلة والاضطراب ، وتثـــير المعارك الجانبية ، وتفتعل المعارك الداخلية ، لا من اجل المحافظة على الخط السياسي السليم ، بل لتحقيق مزيـــدا من المكاسب الذاتية والشخصية .

رابعا : تعزل ما بين التنظيم والحركات الوطنية والجماهـــير لانها تمارس نظرة ضيقة وعليائية . وعليه فانها في العلاقات مـــع الفئات الوطنية تناور وتداور باسم الوحدة الوطنية لتحقيـــق مكاسبها ومطالبها . وهي تحتقر أطراف الوحدة الوطنية وتستهتر بهم في الوقت الذي تتحدث فيه عن الوحدة الوطنية حديثا جميلا طويلا . اما في العلاقات مع الجماهير ، فانها تمارس تصرفـــات عليائية ، تحكي باسم الجماهير وتتحدث عنهم ولكن في المقاهي والملاهي ، ولا تصل اليهم الا في الاحتفالات والمآدب .

الانتهازية مرض الحركات الثورية العضال ولا يمكن معالجتها الا : ١ ــ بالتزام خط سياسي واضح ومحدد ، منبثق من فهم علمي للظروف الموضوعية ولامكانيات الثورة ، ٢ ــ بالتزام خـط تنظيم ثوري وتقاليد تنظيمية ثورية اساسها الوعي والتضحيـــة والعمل الجماعي والاخلاص للقضية ، لا الارتـــزاق والاستزلام والفردية الخ . ٣ ــ محاربة الانتهازية فكرا وسلوكا ونبـــذ الانتهازيين نبذ الشاة الجرباء وكشف أاعيبهم ومناوراتهم .

وفي هذا الوقت الذي تستشري فيه الانتهازية في الحركـة الوطنية الفلسطينية يجب ان يكون من اولى مهماتنا محاربتهـــا

بشجاعة وشراسة لكي نستطيع ضمان استمرار ثورتنا وانتصارها. ولا بد ان تسقط حركتنا الوطنية كل الذين يصلئون وراء علـــي ويأكلون مع معاوية ويهربون من المعركة .

١٨-٢-١٩٧٢

الفهـرس

تقديـم ٥
القسم الاول ٧
حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا ٧
حركتنا والعمل الجماهيري ٤١
القسم الثاني ٥٥
حول الخط الاستراتيجي العام لثورتنا
اليسار الطفولي والثورة الفلسطينية ٥٥
بين تقديس العلنية وتقديس السرية ٨٦
الغابات البشرية لا الغابات الشجرية هي الاساس ٩٤
الجبهة الوطنية الاردنية : ضرورتها ومهماتها ١٠٠
المأزق الراهن وطريق الخروج منه ١٠٥
الثورة الفلسطينية واللعبة الدولية ١١١
القضية الفلسطينية امام سياسة الوفاق الدولي ١١٦
القسم الثالث ١٢١
الانتهازية السياسية : اسبابها ومظاهرها وأخطارها ١٢١

هذا الكتاب

يناقش هذا الكتاب القضايا الأساسية للثورة الفلسطينية ، وعلى رأسها قضية منطلقاتها واهدافها وقضية العلنيـة والسرية وبعض قضايا حرب الشعب .

كما أنه يناقش المأزق الراهن الذي تواجهه الثورة الفلسطينية .

والكتاب في هذا كله يكرس خط النضال والقتال ضد خط التصفية والتسوية ، انه حصيلة نقاشات ومواقف عاشتها الثورة الفلسطينية خلال العامين الماضيين .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٣٥٠ ق. ل.
٥٠٠ ق. س.